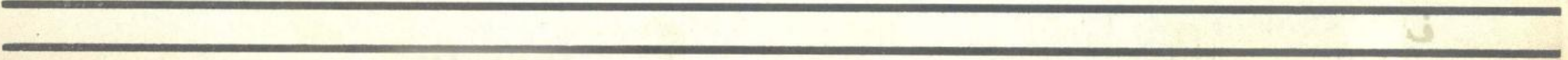


الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق





مجلة بين التراث .. والمعاصرة
shiabooks.net
رابط بديل < mktba.net

طالما وصل الى اساعنا الكثير من الاقوال التي تجزء
بأن مجلة الثقافة اقتصرت او كادت تقتصر فيما تنشر من
ابحاث على التراث وحده مبتعدة عن كل نتاج حديث .

وليسمح لنا هؤلاء ممن يذيعون هذه الاقوال بأن
نقول لهم : نعم ، نحن التراثيون ، الا ان ذلك لم يكن
ليمنعنا عن استقطاب الجميل الرائع مما تبده اقلام ادبائنا
المعاصرين اولئك الذين تخطوا بأدبهم حدود قطرهم واخذوا
طريقهم الادبي الى العالم .. وكذلك فان المجلة لم تكن في
يوم من الايام لتتكر على الادباء المعاصرين وبخاصة «الشباب»
ابداعهم هؤلاء الذين تتوسم بهم الاصاله والثقافة وتتوقع
لهم المستقبل المشرق في عالم الادب . ولم تكن هذه الشهادة
لمن يساهم في تحرير المجلة فحسب فرأينا هذا يشمل حتى
اولئك الذين حجبا نتاجهم عن المجلة ، ولهم في ذلك حريتهم
.. وستبقى هذه المجلة كما وعدت من قبل تفتح مصراعيها
لكل اديب عربي وما ضمته اعدادها طوال ربع قرن من الزمن
دليل جمعها بين التراث والمعاصرة .

رئيس التحرير

الساكفة

فكرية جامعة تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

م. ع. ك. ك.

الادارة والتحرير :

دمشق - شارع الأعمشيين

هاتف ٢٢٩٩٨٤

ص. ب. ٢٥٧٠

REVUE "AL - SAKAFA ,

PROPRIETAIRE — DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS (R. A. S.)

B. P. 2570 — Tel. 229984

آذار ١٩٨١

الشعر الحديث في الحجاز

للاستاذ عبد الرحيم ابوبكر

بقلم: د. محمد بن سعيد بن حسين

لقاؤنا هذا حول كتاب (الشعر الحديث في الحجاز - للاستاذ عبد الرحيم ابو بكر احد ادباء المدينة المنورة ومن رجال التعليم

بها وهو الان مدرس بالكلية المتوسطة بالمدينة المنورة على صاحبها الفل الصلوة وازكى التسليم ..

اما كتابه هذا فانه بحث نال به درجة الماجستير في الادب العربي من كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة ١٢٩٢ هـ وهو من اصدارات

النادي الادبي بالمدينة المنورة من القطع الكبير وهو كتاب حسن المادة ولعل عرضنا له يشبث ما قلناه ..

كيف يقف حيث يفزر الانتاج ويكثر وتتعدد مذاهبه واتجاهاته . لا نستطيع قبول هذا السبب الا مصحوبا بكثير من الشكوك التي ربما كان في المقدمة منها تحرج الباحث من نقد شعر شعراء فيهم استاذاه او قريبه او زميله او صديقه او نحو من ذلك ، من العلاقات الاجتماعية فانه لا يجوز قبوله في اطار البحث الادبي والدراسات الاكاديمية فنحن اذا قلنا كلمتنا في ادب ما فانما نقولها بعد اقتناع بما توصلنا اليه من نتائج كان قولنا ثمرة لها وحينئذ لا نكون قد اترفنا ذنبا في حق العلاقات الاجتماعية اما الثاني فيبدو ان الاستاذ عبد الرحيم اتى به مرجحا للسبب الاول ومقويا له والا فهو يعلم ان جعل العصور الادبية تابعة للاحداث التاريخية .. انما كان حين كنا لا نستطيع ضبط زمن الاتجاهات الادبية والتغيرات الفكرية اما وقد كان في امكاننا تحديد ذلك فان الاحداث التاريخية يجب ان ترفع سلطانها عن العصور الادبية ، واذا كان لابد من الاخذ بالاحداث التاريخية فان الاحداث الالصق بالبيئة التي نشأ فيها الشعر المرشح للدراسة ، هي التي تكون اولى باستعمالها اذا كان ولا بد من الحدث التاريخي

افتتح الكتاب بمقدمة للدكتور شكري محمد عياد اثنى فيها على الباحث وبحثه الذي نال به الماجستير وكان الدكتور عياد هو المشرف على البحث ومن هنا لم نحو المقدمة اكثر من الثناء ولقد اثبت في اكثر من مناسبة ان العمل الجيد نخر من يقدم نفسه وان الكاتب الجاد هو الذي يقدم كتابه وان اللجوء الى مشاهير الاساتذة والكاتبين انما هو تابع من امرين احدهما شعور الكاتب بالنقص والثاني حرصه على ترويج الكتاب وربما جمع الامرين معا ومثل مقدمة الدكتور عياد هذه لم تاتنا بجديد وليس فيها ما يعيد ، لانها لم تقدم صورة للكتاب او تصور لمحتواه ولم تعرفنا بالمؤلف كما لم تعرفنا بمؤلفه وانما هي كلمة ثناء ومن المقدمة التي كتبها المؤلف لكتابه حدد الفترة التي جعل الشعر فيها موضع بحثه وتبدأ بعام ١٣٦٨ هـ فاما الاسباب التي حددت فترة البدء واهمها الثورة العربية ضد الحكم التركي ، فمعقولة واما الاسباب التي حددت فترة النهاية فان اهمها سببان ، اهمهما انها الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية وفيها كثر الانتاج الشعري في الحجاز والثاني وعد بلفور واحتلال فلسطين .

فاما الاول فغريب ان يجعل بحثه ينتهي عنده ،

● الشعر الحديث في الحجاز ●

مكانته في نفوسهم كلما طال به الامد الى ان ضعف الايمان في قلوبهم ثم انتفى عنها فالتحدوا فيه بظلم حتى جاء الاسلام فظهره وزاد ان جعله قبلة المسلمين وموضع اداء احد اركان الاسلام وما الى ذلك مما جاء به ديننا الحنيف ..

ولقد وضع للباب الاول عنوانا هو (البيئة الحضارية) ويبدأ من ص ٣ الى نهاية ٦٥ وفيه تحدث عن شكول من المعاني والموضوعات فحدد الحجاز ثم اوجز الكلام عن المجتمع الحجازي ايجازا لا يعطي الصورة الكافية لهذا المجتمع الذي ينتهي من الحديث عنه في ص ١٢ لينقل الحديث الى ما يشبه ان يكون خلاصة تاريخية للحجاز في العصر الحديث ولكنها خلاصة وان كانت حسنة الا انها لا تظهر للدارس ابعاد الاحداث التي جرت على اديم الحجاز وتنتهي هذه الخلاصة المضطربة في ص ٣٢ ليبدأ من ص ٣٣ الحديث عن الحياة العقلية حيث تحدث عن التعليم والطباعة والمكتبات والصحافة باحاديث طيبة اعطت صورة حسنة للحياة العقلية بالحجاز في تلك الفترة التي حددها الباحث لبحثه . لا يضير هذه الاحاديث .. انها خلاصات لم يمد صاحبها النفس في الحديث عنها .. ولعل عذره في ذلك انه يقدم توطئة يريد بها ان يوجد ارضيه صالحة لدراسة الشعر في هذه الفترة ..

اما الباب الثاني وعنوانه الشعر في العهد العثماني التركي فانه يبدأ من ص ٦٩ وينتهي في ص ١١٥ وكأنه عقد هذا الباب ليعرف بالشعراء في تلك الفترة من تاريخ الحجاز ونعني بها ما عناه هو وهو العهد العثماني التركي فلقد تحدث في هذا الفصل (سبعة) من الشعراء وهم السيد جعفر البيتي والشيخ عمر عبد السلام الداغستاني ومحمد امين الزلي الخطيب ، وعبد الجليل براده وعبد الواحد الجوهرى الاشم المكي ، والشيخ ابراهيم الاسكوبي والشيخ محمد العمري ..

وقد تخلل الحديث عن هؤلاء السبعة اشارات موجزة لتكفي الدارس لادب تلك الفترة الى ما اعترى الحديث عن هؤلاء الشعراء من نقص وكان يمكنه ان يمد الحديث في هذه الفترة وان كان ذلك خارج الاطار الاساسي للبحث ، وهذا يفضي بنا الى قول اخر في هذين البابين الاولين ، وهو ان هذا الكتاب يحتوي على اربعة ابواب ، الثالث والرابع هما صميم البحث واما الاول والثاني فانهما بمثابة التوطئة

ووفاة الملك عبد العزيز ، رحمه الله عام ١٣٧٣ هـ لا يفصل بينها وبين الزمن الذي جعله نهاية لبحثه غير خمس سنين ، افلا يكون ذلك اولي .

وقد قسم الباحث بحثه الى اربعة ابواب اولها في البيئة الحضارية ، والثاني عن الشعر في العصر العثماني والثالث عن تيار التقليد والمحافظة ، والرابع الاتجاه التجديدي ، وهذا يعني ان نصف الابواب في غير موضوع البحث ..

ان اعطاء صورة عن البيئة التي نشأ فيها الشعر ، امر ضروري ، ولكن ذلك لا يتطلب ان يكون هذا نصف البحث .. ان الباب الثاني جزء من مباحث الباب الاول ويمكن ان يكون فصلا من الباب الثالث ومثله في ذلك الباب الاول فلو انه وازن بين موضوع بحثه ومقدماته فاعطى البيئة والعصر العثماني الثلث أو اقل ، وهو كثير لكان ذلك احسن ولقد احس الاستاذ عبد الرحيم نفسه بذلك ، وقال في صدر الباب الاول : « هناك اتجاه لدى بعض الباحثين يرى ان دراسة الادب يجب ان تكون بمعزل عن المؤثرات البيئية زاعما ان الوقوف عند هذه المؤثرات وفحصها قد يوحيان باحكام مسبقة على الانتاج الادبي المدروس ، وفي مقابل هذا الاتجاه النقدي نجد اتجاها اخر يقيم الدراسة الادبية على اساس من البسط بين الانتاج الادبي والبيئة ، بل انه يحاول ان يستشف صورا للمجتمع من خلال دراسة هذا الانتاج ، ولعل الباحثين من شباب الجامعات هم اظهر مثال على ذلك وزيادة على انه قول يريد به تبرير عمله فانه يريد من خلاله ان يثبت ان مبدا الراي القائل بضرورة دراسة البيئة راي جديد وان طلاب الجامعات المتأخرين هم الذين يميلون اكثر لذلك وهو متناس لما يقوله شيوخنا من ان الادب مرآة المجتمع التي تعكس بصدق وجلاء ما هو عليه من احوال ، وان قدم لاثحول دون الاخذ به وان الحدائث وحدها لا تبرره والباحث المنصف المخلص لاتعنيه الجدة او القديم بقدر ما تعنيه الحقيقة ذاتها ..

وبعد ان قضى خمس صفحات في تحديد الحجاز يقول في ص (٨) : « مما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان الحجاز كان ولا يزال مهوى افئدة المسلمين من شتى انحاء المعمورة وبسبب هذه الميزة الخاصة التي تمتع بها منذ بزوغ فجر الاسلام ، ولو انه اضاف الى ذلك .. « والعرب من قبل ذلك » لاتم المعنى لان الحجاز وبخاصة مكة المكرمة منذ رفع ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بناء البيت والعرب تحج اليه وتعظم

والتمهيد له ، ومن هنا يحق القول ، بأنه اعطى هذا التمهيد اكثر من حقه فهو يشكل باين . وصميم البحث ونظامه وان كنت ارتاح الى هذه المخالفة لكونها تناولت فترة من تاريخ ادبنا ، مازلنا في حاجة الى ان تجلوها ارقام الباحثين ، فعمله حسنة من جانب ، وسيئة من جانب آخر .

اما الباب الثالث فانه يبدأ من ص ١١٥ وهو بعنوان الشعر في عهد النهضة وفي صدره اجمل في صفحتين الحديث عن الشعر في الحجاز ولعله اراد ان يوطيء بذلك لجزئيات هذا الباب وهي .

الشعر في عهد النهضة (تيار التقليد والمحافظة) المديح - الرثاء والغزل - الفخر المعارضات - النزعة الوطنية - الوصف - النزعة القومية ومن ص ١١٨ بدأ الحديث عما سماه (تيار التقليد والمحافظة) وكانه احس بشيء من الحرج من هذا أو أنه لم يسع هو نفسه بما يقول لما اردف قائلا في ص ١١٨ ولعلي في اختيار هذا العنوان لم اخرج باستخدام لفظتي (تقليد ومحافظة) عما اراده بهما بعض النقاد المعاصرين الذين تصدوا لتقويم الشعر العربي الحديث منذ نهضته وبعثه على يد البارودي . في مصر حتى يومنا هذا وكان يمكنه ان يحذف الكلمة الاولى فيتقي الحرج ولن يقول له احد اخطأ كما لن يحتاج الى هذا القول الذي يشبه الاعتذار) على ان لبقاء مثل هذه الكلمة (التقليد) ما يبرئها اذ ان جل شعر الرواد الاوائل كالاستاذ الغزاوي مثلا تقليد ، وعندى ان هذا ليس بعيب اذ ان التقليد دائما هو مفتاح التجديد ولان المجدد لا يمكن ان ينطلق من فراغ .

وعلى اي حال فكلمة تقليد كلمة لا غبار عليها لدى المتخصصين العارفين على ان قولي هذا يجب ان يؤخذ المأخذ اللائق به فلا يفسر بأنه دعوة الى التقليد في عصر لا يتطلبه اذ ان من المعلوم لدينا جميعا ان التقليد يكون في مرحلة تكون في البداية وهذه فترة قد اجتازها ادبنا منذ زمن ليس بالقصير واول ما تناوله الباحث من موضوعنا هذا البحث من كتابه المديح وفيه عرض لشاعرين هما احمد ابراهيم الغزاوي وفؤاد شاعر .

فاما الغزاوي فقد درس مذهبه من خلال قصيدتين اولاهما الدالية التي نظمها الشاعر عام ١٣٥٢ هـ حين كان في الوفد الذي سافر الى الرياض لمبايعة الملك سعود بولاية العهد وهي التي مطلعها ..

اجل هذه نجد فهل شاقك الرند
وهبت صباحا فاستقل بك الوجد

واما الثانية فهي الرائية التي نظمها عام ١٣٥٤ هـ وهي التي مطلعها :

هنيئا بك العيد الذي انت ناظره
وفي الله تقواه وفيك بشائره

وشاعر كالغزاوي من وفرة انتاجه لا يكفي في دراسة مذهبه الشعري النظر الى قصيدتين او ثلاث او نحوها وقد يقول المؤلف ان مذهب الغزاوي لم يخرج عما ورد في هاتين القصيدتين وهذا قول رده عن شعر الغزاوي كثيرون وربما كان له ما يبرره في شعر المديح بالذات ، او بعبارة ادق من جل شعر المديح ولكني على اي حال لا اميل الى الحكم على الشاعر بنذر يسير من انتاجه . . على ان المؤلف قد رفع شاعرنا الغزاوي من رائيته الى مرتبة المتنبئ والبحثري وهذه مسألة فيها نظر .

وفي ص ١٣٣ ينتقل من الحديث عن الغزاوي الى الحديث عن فؤاد شاعر ، واول ما يتناوله من انتاجه الجمل قصيدته (حولية نجد) التي نظمها في عام ١٣٦٠ هـ في مدح الملك عبد العزيز رحمه الله .

١ - ولكون المؤلف قد عاب على الشاعر تكرار (عن) في جملة من ابيات صدر القصيدة ولكوننا لانواقفه في ذلك نورد هذ الابيات متبعة بقوله ثم نردف ذلك براينا في قول فؤاد شاعر . .

اجل هذه نجد فسائل ربي نجد
عن العرب الامجاد من سالف العهد

عن الدين والاخلاق والعزم والحجى
عن الشعر والتاريخ والعزم والمجد

عن الخيل والاصباح والسيف والقنا
عن الراي والاقدام والحزم والجد

عن الليل والبيداء والظعن والنوى
عن الدجن والصحراء والفيث والرعد

عن الصافنات الجرد كالريح ضمير
عن النوق والاخلاق والعدو والوجد

بلاد هي التاريخ ابيض ناصع
زها مجدها كالحسن في صفحة الخد

فقل للصبا اذهب بنفح عيبرها
الا يا صبا نجد متى هجت من نجد

● الشعر الحديث في الحجاز ●

وكنت اخاله اكثر شجاعة وانفذ بصيرة وابعد مدى .. ثم يتحدث عن الحركة النقدية فيورد لها من النماذج ما يؤيد ما ذهب اليه حين تحدث عن الثقافة الوافدة الا قليل لا تعطي الا صورة باهتة للاراء النقدية اذ ذاك ..

ثم عقد عنوانا سماه (الدعوة الى التجديد) ولكنه قصر الحديث في هذا الموضوع على بعض من آثار الاستاذ محمد حسن عواد وبخاصة كتاب « خواطر مصرحة » ، وكتاب « تأملات في الادب والحياة » ونحن لا نشك في جدوى هذين الكتابين في مطلع نهضتنا لكن الاستاذ عبد الرحيم ابو بكر ومعه آخرون اعطوا هذين الكتابين اكثر من حقهما فاما خواطر مصرحة فكانت لنا معه وقفة سبقت ، واما تأملات في الادب والحياة فان لنا معه شأن ان شاء الله ولكن اين دعوة التجديد عند غير العواد ؟ ولماذا وقف المؤلف هذه الفقرة من هذا الباب على هذين الكتابين ؟ لا نريد ان نجيب على ذلك لعلمنا ان الجواب معلوم لدى كل مثقف ولان المسألة من الواضح بحيث لا تحتمل الوقوف عندها ..

ثم يأتي دور (بواكير الرواد) كما يقول الاستاذ عبد الرحيم ابو بكر .. واول ما يتحدث عنه الكاتب هو المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان ولا يقدم لنا من آثاره الا بعض من ابیات قصيدته (ياليل) و (يابدر) ولست ادري لماذا انصب اهتمام الكاتب على بعض من ابیات هاتين القصيدتين اللتين ابلاههما التكرار وانهكتهما الاعادة حتى اعتراهما ما يشبه الابتذال من كثرة تعاور اقلام الكاتبين لهم وكان الصبان لم ينظم ماهو جدير بالدراسة سوى هاتين القصيدتين حتى صارتا في عالم ادبنا (كقام زيد) و (ضرب زيد عمرو) في عالم النحويين .

ثم انتقل الى نماذج من شعر شعراء ثلاثة هم محمد حسن عواد وعمر عرب وعبد الوهاب اش ، وحديثه عن تلك النماذج ينم عن اهتمام كبير بالتجديد في الشكل وكأنه هو كل شيء بل كأن الشكل عنده ينحصر في الخروج على نظام القصيدة العربية وبخاصة وحدة البحر والقافية وهذه مسألة خاضت فيها الاقلام كثيرا حتى اصبح كل شيء فيها مكرورا من هنا لا اريد ان اعلق على مثل هذا الا بكلمة واحدة هي ان للشعر كيانا يميزه عن النثر الفني ، وعلى كل باحث ان يتبين موضع قلمه من هذا وان يعلم ان التجديد لا يكون بهدم الصالح القوي واستبداله بالثر الهزيل .

قال المؤلف : هذا هو الجزء الاول من حولية نجد واحسب شاعرنا بهذا العرض الموسع الذي كان يقصد منه الاشادة بنجد وتاريخها لم يزد على رصف الكلمات بعد حرف الجر (عن) وكان يكفي من كل ذلك قوله : (بلاد هي التاريخ الخ ..) فقابل من اللمحات الشعرية الصادقة القوية كان يقوم مقام هذه النغمات النظمية التي لاتضيف شيئا سوى زيادة عدد الابيات ..

ولو ان الاستاذ عبد الرحيم تأمل وتحسس ماتوحي به هذه النغمات كما يقول لتبين انها ضرورة ملححة في مثل هذا القول وانها تكثف الايحاء في الابيات وتجدد اسلوب القول الى ماتكسبه من موسيقى لاتخفى على كل ذى ذوق سليم ثم ياخذ تضمين الشاعر شطرا من قصيدة ابن الدومنية على انه انباء عن مذهبه في القول ودليل عليه ويجدها المؤلف فرصة لايراد جملة من ابيات قصيدة ابن الدومنية ، وما كان اغناه عن ذلك .

ونصل الى الباب الرابع الذي هولب لباب هذا البحث ويشغل سبعين صفحة من الكتاب .. يبدوها المؤلف بعجالة عجلي عن الاستعداد الذاتي لدى ادباء الطليعة في الحجاز لنخلص منها الى مثلها من حيث الاهمال والسرعة في الاختيار .

وهي الاشارة الى اثر الثقافات الواردة .. لكنه يرجع كل اجادة وابداع لدى ادباء الطليعة الى الاخذ من تلك الثقافات وهذه قضية خطيرة اذ انها تفضي الى الحكم على اعمال اولئك الرواد بانها تقليد ومحاكاة ، وان تحقق هذا في البعض فانه يجب الا يكون ذلك قضية خطيرة اذ انها تفضي الى الحكم على اعمال اولئك الرواد بانها تقليد ومحاكاة ، وان تحقق هذا في البعض فانه يجب الا يكون ذلك قضية مسلمة لدى الجميع ..

ان التجديد والابتكار والاقتراع امر مشترك بين هؤلاء واولئك والذي جعل اولئك يبتكرون ويجددون لايمكن ان يكون محظورا على هؤلاء الا عن طريق تقليد اولئك .

لماذا نسلب بيئتنا ومجتمعنا القدرة على الابتكار والتجديد ؟ ولماذا نرتاح دائما للتبعية ؟ انه لمنطق عجيب ، لكنه ليس بجديد وليس الذنب فيه ذنب المؤلف لكن كنا نأمل من ان يفند هذه الاقوال ويظهر حقيقة الامر .. لكنه لم يزد على ان كان تابعا لمن حكى اراءهم واقوالهم ..

من افتعال لبعض التعبيرات والالفاظ واكراهها على مكانها من القول كمثل قوله « التخطيط والتعميم والتنظيم والاختيار » فلعل الاستاذ كان يفكر في بناء سكن جديد .

وتحت عنوان « مظاهر التجديد في الاطار الموسيقي » ذكر ماينم عن قصر الاطار الموسيقي في الشعر على الوزن والقافية وفيه بدأ الحديث عن الشعر المرسل اولا ثم تنوع القافية وفي هذا اورد نصوصا لبعض الرواد جيدة وان خرج اصحابها فيها على وحدة القافية في الفنون التقليدية كالمدح والثناء ونحوها ، ولست ادري كيف اخرج الفزل ونحوه من دائرة الفنون التقليدية ، ان مانعرفة في ادبنا العربي ان الفزل والوصف ونحوهما من الفنون التقليدية عند العرب فلعله كان يريد ان يقول (شعر المناسبات) كما يعبر بعضهم عن مثل تلك الاغراض وهي تسمية لا ارتاح لها لان الشعر في نظري كله مناسبات ، فانفعال الشاعر بالمنظر الجميل او الحدث مناسبة توحى له بما يقول :

اما حديثه عن الموشحات الحديثة فلا جديد فيه الا انه اعترف بان اثر من آثار الموشحات الاندلسية .

ويدلف الى (الشعر الجديد الحر) كما يسميه فيعرض للحديث عن اسبق نص في هذا الميدان وادعى ان الشاعر محمد حسن عواد زعم انه نظم شعرا حرا قبل نازك الملائكة والسياب بسبعة وعشرين عاما .

ولقد حدثني بعض الفضلاء ان الاستاذ محمد حسن عواد قد انكر هذا الزعم والله اعلم ، ولكن اهم مايعنيننا هنا هو قوله : (لان الشعر الحديث في الحجاز ظل شعرا اقليميا في اكثر احواله لولا تعرض قلة من الادباء العرب الذين عرضوا للكتابة عن بعض شعرائه بمناسبة اصدار ديوان او ما الى ذلك من المناسبات وذلك حين عرض لازرار الاقلام العربية عن الادب الحجازي . . والاقليمية في الادب لها مفهوم غير هذا الذي يقوله ابو بكر ، وهو كون الشعر يظل يدور في اطار محلي وما اظنه يعني هذا ، بل ان صريح قوله ينفيه ولذا كان عليه ان يضع بدل الاقليمية جهل (غير السعوديين) او عدم الذبوع والانتشار) .

والاستاذ محمد حسن عواد رائد من رواد الحركة الادبية عندنا لايزيد في وزنه او ينقص ان ثبتت له هذه الاسبقية او لم تثبت ، وان كنت ارتاح الى ان لايبوح بهذا الائم ، ويبدو ان الاستاذ عبد الرحيم ابو بكر لايفرق بين المحافظين والمقلدين فهو يقول في حديثه عن

ولقد اورد الاستاذ عبد الرحيم في هذه الفقرة نموذجين للعواد وان كان الثاني يعارض الاول منهما وكان اجدى لقلم عبد الرحيم ان يمد الحديث عن هاتين القصيدتين وان يوازن بينهما موازنة تظهر ما بين النصين من لون شاسع يتبينه الباحث في اللفظ والتركيب وفي الصور والاختيلة والاساليب وفي جوانب من المضمون . ومع اني لا ارتاح كثيرا لبعض سماتهما الا اني اعد القارئ بتناولهما بالدراسة حينما اشرع فيما رسمته من دراسات . .

وتحت عنوان (ظاهرة التأثير) يعود الاستاذ عبد الرحيم الى ان يرجع كل مظاهر التجديد في الادب الحجازي الى تأثره ومحاكاته وتقليده لادب ادباء المهجر ومصر وهذه مسألة تحدثنا عنها سلفا غير اننا نودان نشر هنا الى ان في حديثه عن التأثير والتأثير لا يوازن ويقارن بين النصوص الابعجالات اجودها قوله في الموازنة بين قصيدتين لعلي محمود طه واحمد عبد الغفور عطار (هكذا تحدث العطار في مطولته عن (ميلاد شاعر) ويخيل الي انه كان في حديثه متأثرا بالافكار العامة التي اشتملت عليها قصيدة علي محمود طه (ميلاد شاعر) واذا عن لي ان ابدي بعض الملاحظات فاني اجد ان قصيدة علي محمود طه كانت تتسم بالتخطيط والتصميم والتنظيم والاختيار في رسم الصور والمشاهد وقد كان السحرتي الناقد المصري يقول : (ان شعر علي محمود طه يطبع اكثره الكد ، وتتجلى فيه اعمال الاناة والروية) ، بينما كانت قصيدة العطار اقل مستوى في هذه الناحية وظهر تكديس الصور وتجميعها ، ويظهر من قصيدة علي محمود طه ٧٧ - ٢ تجسيد للطبيعة وتعاطف معها اقوى بكثير مما يجده القارئ لقصيدة « المكار » كما ان الخيال في قصيدة « الملاح التائه » كانت آفاقه اوسع وارحب ، وتوليد المعاني عند العطار اظهر في مقابل ذلك ، ثم ان قصيدة علي محمود طه كانت تسير في الشكل على نظام المقطوعات بينما جاءت مطولة العطار مكونة من ثنائيات يستقل كل بيتين منها بقافية واحدة ، وبجانب هذا كله نلاحظ عند العطار محاولة الاستقلال في الاداء والتعبير بالرغم من التأثير بالافكار العامة التي اشتملت عليها مطولة الملاح التائه ، ومن هنا كان تأثر العطار فيما يخيل الي تأثرا واعيا جيدا يشارك في الاتجاه الفني الجديد ، ولكنه يستقل في الصياغة والاداء وينحاز الى المضامين الجديدة ، واصحابها ، ولكن دون الفناء في الشخصيات الرائدة ذات السمعة الفنية الشهيرة ، الدائعة ، وهذا قول حسن وان كان غير كاف الى ما فيه

● الشعر الحديث في الحجاز ●

بالمهم ان اقول وتقول ، ولكن المهم اننا لانريد لادب امتنا ان يكون العوبة تصرفها الميول والاهواء .

ويختتم المؤلف مباحث كتابه عن شعر (الصبابة والهوى) ويعني به الغزل لكنه يقول في ختام الحديث (وهكذا استطاع بعض الشعراء من اصحاب تيار التجديد في الحجاز ان ينتقلوا بشعر الحب والوجدان من بيئتهم الادبية من مذهب التقليد والمحافظة على التراكيب الموروثة الى شعر يفيض بصدق العاطفة وحرارتها في لفة عصرية تنم عن اخلاص في الفن وجد في اداء الرسالة ، واذا كانت بعض ملامح التأثير قد ظهرت في بعض نماذج ذلك الانتاج فليس ذلك بالعييب لانه يدل على حيوية واستيعاب لثقافة العصر . وهل خلا ادب اي اقليم من تأثيرات رواسب الاطار الثقافي ، عربيا كان ام اجنبيا ،) ما الذي يعنيه (بالتراكيب الموروثة) وهل الشعر في يوم ما مهما بلغ ضعفه تراكيب موروثة ؟

ثم انه دلل في هذا بصراحة على ان المحافظة عنده مرادفة للتقليد وهذا يؤكد ما اشرنا اليه سلفا من انه لم يتبين الفرق بين المحافظة والتقليد ثم يختتم هذه العبارة التي كانت ختام كتابه بالتاكيد على ان الشعر الحجازي كان تقليدا لشعر شعراء المهجر ومصر ، وهذه مسألة فرغنا منها سلفا ، غير ان ما كنا نود ان يكون اخر عهدنا بكتاب الصديق عبد الرحيم هو تكراره لهذا المعنى الذي الح عليه في كل مباحث كتابه . ونختم وفتنا مع الاستاذ عبد الرحيم ابو بكر في كتابه « الشعر الحديث في الحجاز » بالاشارة الى بعض الملحوظات العابرة التي لا تحتمل الوقوف معها فمن ذلك : -

- ان الاخطاء التي يغلب على الظن انها تطبيع كثيرة في كتابه ، منها ما ذكر في فهرس التطبيع والكثير منها لم يذكر .

- وهو يستخدم حيننا التاريخ الهجري وحيننا اخر يستخدم التاريخ الميلادي ولو انه وحد الامر بالجمع بين الاثنين او باعتماد احدهما لكان اجمل .

- وفي كتابه بعض الالفاظ التي اولى به ان يستخدم بدلا منها سواها كمثل كلمة « عقلانية » في ص ٢٣١ . ومهما يكن من امر فان هذا الكتاب على ما فيه من هناة هيئات قد سد ثغرة في ادبنا الحديث وازاد الى مصادر البحث في ادب بلادنا مصدرا جيدا لا يستغني عنه الدارس . .

عن « ملحق الجزيرة الادبي »

(ملامح التجديد في المضمون) (فاننا نحاول هنا ان نرصد ظاهرة ان شعراء تيار التاثر والتجديد تختلف عن مذهب ذلك التيار المقلد المحافظ في المذهب الشعري وفنون القول) ومن المعلوم ان المحافظين عند اهل هذا الفن غير المقلدين فمثلا الشاعر ابراهيم الاسكوبي محدود في زمرة المقلدين بينما يعد حمزة شحاته واحمد عبد الغفور عطار وعبد الوهاب آش بين المحافظين ، ولكي يتبين القارئ ما نرمي اليه نقول ان اهم ما يميز المقلدين انهم اتكئوا على الماضي في كل شيء . اما المحافظون فانهم حافظوا على الكيان العام للشعر في حين انهم جددوا المضامين والافكار والمعاني وطرق الابداع والتصوير الفني ولم يجنحوا الى اتباع طريق الهدم لكل ما هو صالح ونعني بالصلاح هنا ما يكفل للشعر تميزه واستقلاله في عالم الفنون الادبية ، وهذه امور قد تجنح النفس الى مد النفس فيها لولا ان موضوعنا عرض كتاب .

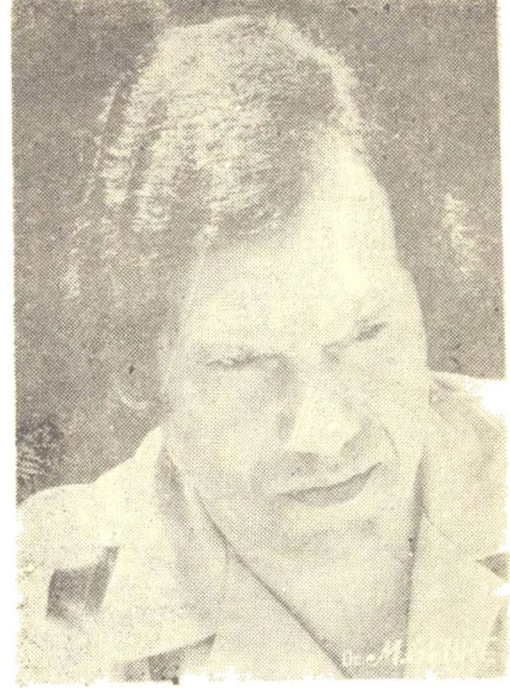
وتختلط المفاهيم عند المؤلف فيعييب المناسبات عند شاعر ويجعلها سمة فضيلة وتجديد عند آخر (١) فالمدح اذا جاء على لسان فؤاد شاعر فهو منقصة لكن حين يرد على لسان العواد فهو مدحة ، فسبحان من يغير ولا يتغير !! ان الفن الشعري هو هو . . وان في في مدائح فؤاد شاعر ما يماثل زائفة العواد او يسمو فوقها ، ولكنها شهوة التفضيل ولا اريد ان اقول انه الجبن امام الحي او الانحياز له ، واني لاتمنى ان تكون زلة قلم جاءت سهوا ، فذلك اهون ، (وبعض الشر اهون من بعض) .

اذا قلت لك ايها القارئ العزيز ان الاحكام الادبية عند عبد الرحيم تخضع لموازين وضعها هو بنفسه لنفسه فاني لا اقول هذا تحاملا او تجنيا اذ ان ما بيني وبينه من الروابط ربما انتظمتنا في نظام الاصدقاء لكن البحث العلمي كما قلت واكدت في اكثر من موضع يجب ان يكون بعيدا عن كل ماعدا الحقيقة ، وشاهد اضطراب المعايير الادبية عنده تجده مدسوسا في كتابه من ذلك على سبيل المثال حديثه عن قصيدة لحسين قاضي اوردها في ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ وهي من الشعر المرسل قال عنها عبد الرحيم في ص ٢٣٨ : قد يبدو هذا النص من حيث مستواه الفني اقرب الى التعبير النثري لولا هذه الموسيقى التي تنظمه اقرا تلك القصيدة ، ثم اقرا نصين لشاعرين آخرين اوردهما في ص ٢١٨ ، ص ٢٣٢ او غيرهما من النصوص شبه النثرية التي فضلها ووازن وقارن ثم احكم ، ويقيني انك قائل باكثر مما قلت وليس

العلاقة الجدلية

بين الوحي والابداع في فكر مصطفى طلاس

بقلم: محمد جبر



د. محمد جبر

صدق « . من هنا .. من نقطة المحور التي تجسد مصدر الصدق الفني والحياتي ندخل عالم مصطفى طلاس الباحث والشاعر والاديب لنذكر الى أي مدى وصل في تكريس عنصري الصدق والاصالة من خلال نتاجه الفكري الغزير الجيد .

لقد عاش مصطفى طلاس سنيه الطويلة . وبدا يكتب قبل أن يتم العشرين من العمر .. ولم يتوقف عن الكتابة الى يومنا هذا . ففي رحلته الحياتية في النتاج الادبي المتصل قد مارس كل الفنون وضروبها الهامة الشعر والقصة والنقد التاريخي السياسي والاجتماعي .. والتحليل العلمي .. وهو ليس ادبيا فحسب بل - مع كل هذا - مربيا ومعلما ومسؤولا يحمل في اعماقه وحسه ووجدانه هم بلاده وشعبه وامته بكل امانة وشرف .. يعتبر هذا الانسان - دون تطويل - مدرسة لجيل يبحث عن وجهه الضائع في خضم الصراعات الاجتماعية ، والتيارات السياسية والفكرية .. يطرح افكاره بجرأة متناهية .. ونتاجه اصبح نظرية في التربية وعلم الاخلاق .. وبجدارة يعتبر رجل امة ومنار وطنية قل مثيله .. شارك في الاحداث الهامة التي مرت بها بلاده في تلك الحقبة الطويلة من عام ١٩٤٥ حتى يومنا هذا .. شرد وتألم .. سجن وتعذب ، دفع ضريبة مواقفه حياته وراحته .. حمل صليب مبدئه على كتفه منذ البدء .. مناظلا اصيلا محبا ودودا .. وفيما مخلصا ... لانسانيته .. انه انسان بالمعنى النموذجي .. اعتبره الكثيرون من الناس مفكرا كبيرا .. ومعلما فذا لان نظرتة الى الحياة نظرة متكاملة . فكيف تطمح مثل هذه الدراسة المكثفة المتواضعة جدا لان تكون دراسة انسان بلغت حياته من السعة والخصوبة وتعدد الجوانب والمناقب هذا المبلغ من الرقي في المشاعر والاحساس والفكر الرصين الحصيف ؟ .. انها تحاول ان تعرض على قراء العربية هذا الاديب بهمة عابرة في ذكر ديوانه الكبير الذي ضم عيون الشعر العربي وأروع قصائد قيلت في تراثنا الفكري الى حد بعيد . وهذا الديوان « قصيدة وشاعر » يعتبر عمل ضخم الانجاز .. جميل الاخراج في حلة ولا أروع .. واعتمدت في هذه الهمة ان تكون سيرة افكاره لاسيرة احداث لانني قد وقفت طويلا من نتاج هذا الكاتب الطليعي في كتابي مصطفى طلاس مفكر الانسانية والحب والثورة والذي سيصدر قريبا - ودرست جوانبه ومناقبه وسجاياه على قدر الامكان دراسة تحليلية اكااديمية .. والهدف من ذلك ان يخرج

الخيال يبقى وهم ان لم يتحول الى كلمة مسطوره او لوحة مرسومة ، والكلمة لامعنى لها ان لم تتحول الى فعل وصدق .. والصدق هو مبدع الفن الاصيل الخالد .. ودقائق العظمة لكل عابرة البشرية تكمن في العمل الاصيل الذي يعقد صلة التواشج بين طرفي المعادلة .. الصدق من جانب والاصرار والعطاء النظيف والخصب من جانب آخر .. فمادة الصدق تدل على قوة البصيرة ووضوح الرؤيا في ترجمتها عمليا ، وقد سمى العرب الحق في القول صدقا لقوة الحق في مضمونه وجوهره ، وعمقه في مدلوله .. وهو على نقيض مع الكذب بشتى صنوفه وضروبه ومذاقاته . وتأتي اللغة لتحسم الامر في مجازها : رجل صدق صادق الحملة .. وذو صدق في القتال .. ومعناه الاعم والاشمل تطابق الظاهر والباطن والقرآن الكريم في بلاغته يضفي على مادة الصدق جلالا وجمالا حيث يطلقها على كل عمل طيب ، فنجد قوله تعالى عز وجل : « وقل ربي ادخلني مدخل صدق ، واخرجني مخرج

● العلاقة الجدلية بين الوحي والابداع في فكر مصطفى طلاس ●

اخلاقية وموضوعية ، وأن ما اراه على الساحة الادبية هو الذي دفعني واثار اهتمامي وخاصة بعد ان قرأت اعمال هذا الكاتب الطليعي . . الذي هزني هو اجحادنا له نحن اصحاب الكلمة في دنيا الحرف المسطور ، ومع الاسف الشديد اني كل يوم اصطدم بدراسة تقوم حولها ضجة اعلامية ثقافية ودعائية لاناس ليس لهم شأن في عالم الكلمة يعتبر شيئاً من النتاج على صعيد الادب . . فما هو السر في ذلك ؟ . . اترك الرد للذين يعلمون فلسفة الكواليس !! . . والتاريخ والزمان لهما القول الفصل دائماً . وتلك هي الطامة الكبرى . . ولكنني اقول هذا لكل ملتزم يتمتع بضمير الحرف ويهمه شرف الكلمة وقديستها . وانني لست من المفانين للكاتب مصطفى طلاس كونه شخصية عسكرية وسياسية هامة . . بل اني وبكل تواضع - العشق الحقيقي للادب - ما يهمني هو فكر مصطفى طلاس كباحث وباعث لتاريخ امتنا المجيدة . ومن هنا ابدا وعذري شديد على هذه المقدمة التي طالت على القارئ ولكنني ارتايتها من ضروريات المدخل لهذه الدراسة المتواضعة يحق هذا الكاتب الطليعي الممتاز .

« ارجو ان اكون قد قدمت قطرة صافية من بحر لغتنا العصماء . . ونفحة شذية من نفحات شعرها المبين . . الى ذوي الحس المرهف من قرائها ، ممن لبلاغة الكلمة والتعبير وروعة الفكر والبيان ، اثر في عقولهم ونفوسهم . . . (٢) »

ان مانراه في ديوان « قصيدة وشاعر » اكثر من قطرة صافية ، وللامانة لقد كان هذا المؤلف والباحث نحله تطوف الرياض والحقول وتحط فوق كل زهرة بهيجة تمتص الرحيق ، ومن ثم تهضمه بحس بالغ الذوق والشفافية . . وتفزره شفاء للناس وهكذا كان هذا الانسان في ديوانه ، قصيدة وشاعر ، لذا نراه يصرح برؤيته الواضحة في مقدمة ديوانه : « ورسخ في اعماقي اليقين بأن الشعر هو مفتاح الشخصية العربية ومحكها الاول وان العربي عندما يحاول ان يكون شاعرا فكانما يصر على ان يحقق ذاته ، ويتصل بروح امته العريقة ، ولقد كان ذلك المفكر ملتصقا بامته روحا وجسدا . . حسا ووجدانا بدءا من كتابه « الرسول العربي وفن الحرب » وانتهاء بديوانه « قصيدة وشاعر » مرورا ب « سيف الله خالد ابن الوليد » لقد شرحت فيما تقدم من ظروف « طلاس » في علاقاته وصفات

القارئ الكريم بصورة مكتملة - على صفرها - للشاعر والاديب الانسان . والهدف هو ان يحب القارئ هذه الصورة ويتطلع الى اكمال خطوطها والوانها . ولئن اصابت هذه الهمسة الصغيرة ذلك الهدف الكبير - ا - فهي اذن جديرة بأن تحمل اسم شاعر الفكر الانساني والثورة الذي وسع قلبه العالم كله .

مصطفى طلاس هو كاتب طليعي مغمور من حيث التقييم وليس من حيث النتاج والمكانة على امتداد الساحة الادبية في الوطن العربي الكبير . . ولست ادري لماذا لم ينل حقه من النقاد والدارسين في وطننا العربي . . هل لانه رجل بزة عسكرية ؟ . . واذا كان كذلك فلا يعني هذا ان نهمل نتاجه الى هذا الشكل المخزي لنا من دراسته وتحليله وتقييمه كاثار ادبي ومفكري . . ولكن هل ننسى ان اصحاب البزات العسكرية قد اعطوا فابدعوا . . وخطوا بالقلم فاخذوا . . مثلا ان اللواء العراقي « محمود شبت الخطاب » يعتبر علما من اعلام دارسي التاريخ وقد اغنى المكتبة العربية في بحوثه وكتاباته . . وبالمثل الجنرال الباكستاني « ا . . ا . . اكرم » والكاتب المعروف العقيد « محمد الشاعر » وغيرهم الكثير الكثير . . . ولكن بقي علي ان اقول ان هذا التعميم الاعلامي على نتاج هذا الكاتب الطليعي نوع من التعسف الذي لا يقبله منطق الفكر . او الذوق الادبي . ان الفكر الملتزم لا ينتظر كاتباً من طبقة معينة . . وانما ينظر لرجل الفكر بغض النظر عن كل اعتبار ، لان الكلمة الطيبة هي ابنة الفكر الخالص . . وان الانتماء لا يقلل من شأن الفكر الصادق الحر . . وبنفس الوقت لا يزيد الانتماء من الاصاله ولا ينقص من المكانة . لذلك يجب ان نحاول جادين مجتهدين ايفاء بعض حق هؤلاء المفكرين الجهابذة لمالهم علينا من حق بغض النظر عن كونهم عسكريين او غير عسكريين . . من طبقة دنيا او طبقة عليا . . الم يكن تولستوي اقطاعيا شكلا وثوريا اشتراكيا ضمنا . . وكذا الحال مع اللورد بيرون الم يستشهد في اليونان دفاعا عن شعب مقهور غير شعبه ؟ وغيرهم الكثيرين . . فهل ننكر الحق لهؤلاء الجهابذة بانهم منارة انسانية للاجيال . وبرأيي ان الذي يتنكر لكل فكر اصيل هو جاحد لشرف الكلمة . . وقديسية الحرف - وكل جاحد ليس منا - ولم اقل هذا من قبيل المجاملة او التبجح : ان لنا ان نكون مع كل نتاج جيد اقرب الى الصدق . . والاكثر

المجاز خيرا من قول المجاز ، ولكن على ان تجند هذه المعرفة للعمل ، فلا قدسية لعلم متآله او مخزون . من هذا ارى حتما على كل من الاديب وقارئه ان يتجهزا بما يدل لكل منهما صعوبات الطريق ، فاذا اغنى الاديب فكره بثروة قيمة من المعلومات والاساليب ، واشبع فكره وذوقه بمواد غذائية من ثقافة مستوفاة لعناصر صحة الفهم والادراك ، اهمل هذا كله حين العمل الفني ، واعتمد موهبته وحدها في الصنع ، فانها تدع آنذاك بطبيعة غناها ونعيمها اعمالا غنية اصيلة .

وكذلك نقول في القارىء : جهزه بادوات الفهم واتركه ينعم من داخله بما يسمع او يشاهد او يقرأ من اعمال الفن . انه يتصل بها آنذاك مباشرة . . ويحيا مع مبدعيها ومنتجها بنفسه ، ولن تعوض عليه هذه اللذة ، ولا على الفن قوة التأثير بشرح وتعليم مهما أوتيت من عظمة الحظ فيها .

ونحن من نتاج مصطفى طلاس الادبي مطمئنون في احد شقي هذه المشكلة . فطلاس اديب ومفكر مجهز بأفضل ما يتجهز به كاتب وشاعر في مرحلته ، فهو غني الفكر بملكة لسانية تنقاد لها العبر دون جهد ، وبمثل سهولة العفوية ، وهو من هذا وذاك قادر - في توفر وطبع - على الربط بين ذاته في عالمها الداخلي المشحون بأسرار المعرفة ، وبين العالم الخارجي من حياة المجتمع البشري ومظاهر الطبيعة ، ربطا يصوغ له فنا من القول يلحم منه بريق الاحجار الكريمة ، الذي يسمى عادة (العبقرية) . هذه مرحلة من المشكلة كفانا عنها القول فيها ، بقي النصف الثاني من المشكلة وهو اهم النصفين . هل اشرح لك نتاجه المؤلف من عشرين عملا ضخما متعدد الالوان والجوانب (قصة وبحوث تاريخية . . ودراسة عسكرية . . وشعرية . . ووثائقية قومية . . الخ) كما يفعل استاذ التشريح بالارانب ؟ . . او احلله كما يفعل معلم الكيمياء بالغاز ؟ . . لا . وان هذا يتلف عليك كمية من اللذة والنشوة الروحية والحسية . . لذة الالتصاق بروح هذا المفكر الطبيعي ، وجوهر الفن ، ولكني ساحاول أن اضع في متناولك بعض الادوات كي تعمل بها انت على تذوق المضمون الفني . مذهب مصطفى طلاس في كل نتاجه مذهب واقعي واضح السمات . ولن ادخلك في ايراد ومصرف - كما يقال في اللغة المطروحة - من تنزيل هذا المذهب في منزلة من المذاهب الادبية ، ولن آخذ بيدك الى متاهات

الحياة العامة في ايامه ومؤلفاته (٣) . وشعره من الشعر المتحرك بالحياة وطبيعة الاشياء . حياته هو وحياة الناس المحققين به وحياة الانظمة التي سادت مجتمعه منذ نشأته حتى الآن . وحياة الطبيعة التي تفيض اسرارها على لسانه وجدانات بعضها هزج وطرب ، وبعضها ناغم كئيب . ماذا تريد صديقي القارىء ؟ . . .

لست في حاجة الى اثبات حفظي لهذه الرموز من مذاهب الادب ونظرياته (٤) ولا الى اعلان معرفتي بتفاصيلها - وخاصة انا ضد عرض العضلات الثقافية على مسرح الكلمة . . وبالمقابل لا اكتب عن اي اديب او مفكر لأنال الحظوة عند فلان او علان . . بل انما عندما اكتب بوازع من ضمير . . وايعاز من ايماني بقدسية العمل التنظيف .

ثم لايزيد نتاج « طلاس » شيئا اذا مانسبناه الى مذهب معين او طبقة معينة ، كما لاينقصه شيئا اذا نسبته الى احد هذه المذاهب ، ف « مصطفى طلاس » حين ارسل قريحته شعرا او نثرا لم يكن يفكر ببذة عسكرية . . او بمذهب من المذاهب التي يفسد التفكير بها صلته بمنابع الحقيقة الخالدة ، ويشوه تعابيره عنها . فتذوقه انت كما ارسله هو ببساطة لا تتكلف التعقيد الذي يفصل بينك وبين حس الحياة الملحن بنتاجه الذي يعرض لك همومك واشواقك ، ومجد امتك - وكبواتها بالفاظ واهنة . . بل يطرح تراث امته تاريخا ونثرا قصصيا وشعرا لا تكلف فيه ولا تعقيد - انه السهل الممتنع - بل جدولا رقرقا بمادته العذبة القراح . في رأيي ان الفن كما يفسده التكلف ، واصطناع وسائل العلم والاسلوب فيه اصطناعا مقصودا ، كذلك يفسد فهمه وضعه على مائدة التشريح . قد نصل من تشريحه الى استنباط قاعدة ، او ايضاح درس ، ولكننا نضحى اثناء عملية التشريح بجماله ، ونتعرض منه لمشاهد دموية تعافها النفس . على اني لست من عشاق العفوية في انشاء أي فن ، ولا في فهمه ، فالعفوية بدائية لاتسمح بتكامل الفن ، ولاتتيح فهمه ، تخذلها هناك ادوات الابداع مضمونا وشكلا ، وتخذلها هنا وسائل الاجتلاء والتقويم ، وكلما نقصت الشروط في الميدانين جميعا تمت شروط الفهاة في احدهما . . والغموض في ثانيهما . . نقص يقصر عن العطاء في ميدان ، وتنشل حاسة التقويم في القارىء ، وهكذا تنعدم فائدة التبادل فعلا وانفعالا آخر الامر . بل انا ممن يرون معرفة

الادبي الى طابع فكري يرفعه من درجة ادباء (الشعور) الي درجة ادباء (التفكير) وواضح ان هؤلاء اعظم قدرا في تصنيف علم الادب اولئك يقفون من سلم الاستفهام على درجة : « لماذا » ؟ وهي اولى الدرجات التي ترفع الانسان فوق الجهلة الذين تلامس حواسهم ظواهر الكون وعجائبه دون دهشة .. لانهم يرون فيما يشاهدون حقائق مستقرة وردت بصيغ نهائية لايمسها تبدل ، ولا ينالها تغيير . اما هؤلاء من ادباء التفكير فيقفون من الاستفهام على درجة (كيف) ؟ وهي درجة تفرغ من دور التعليل او الاكتفاء به ساذجا غامضا وتبدأ بدور التحليل فتلمس محتويات المشاهد في طبائعها وتراكيبها . واليك هذه النزعة في شعر مصطفى طلاس رغم بساطته :

قفي يابلل لاتبك
فما اشجاك اشجاني
جرحت القلب لو تدرين
بسهم ما له ثاني

انه - كما ترى - انتهى من الرومانسية .. وبدأ بنفي البكاء والدهش وبدأ يعطي التفاصيل ، لقد اجتاز مرحلة التأمل الحائر وخطا مرحلة الانفعال ، والانصهار بالظواهر والاسباب ، والعطاء منها عطاء حيا متحركا بشفافية الالم المكنون في عمقه الداخلي . واطلاس شعر غزلي توشحه مسحة فلسفية صوفية وعذرية - في قصيدته ، صباح الورد :

ياصبح الورد يعذب اللمى
لؤلؤ الثغر عقيق نضدا
افتكي كالسيف في عاطفتي
لا احب السيف يوما مغمدا

افتكي .. بداية لبنت شعري ينتهي يوما مغمدا لهي روعة في التركيب مع (كالسيف) وابداع في الكناية والتشبيه امتزجت بها القوة والرقه .. الدم يذكرنا به السيف والورد والندى يذكرنا باعراس نيسان والزنابق المشرببة الى الشمس والدفء - زنابق تعانق الدم - خشونة تعانق الرقة ... تذكرني بمحمود درويش : « عنف النسور ورقة المتفائل » وبعنتره العبسي :

فلسفية لم تحدد مواقف اصحابها حتى الآن من المجهول .. - مجهول النفس على الاقل - ولكنني على الاجمال اذكرك ، او اذكر لك ان مرجع الخلاف بين المذاهب الادبية المتصارعة الان انما هو مايسميه الفلاسفة « نظرية المعرفة » والصراع الاساسي البادئ من هذه النظرية ينسب بين المذاهب المثالية والميتافيزيقية وبين المذاهب العادية ، لاعلى هذا الصعيد فقط ، بل على كل صعيد . وجوهر الخلاف في هذه النظرية الاساسي يدور حول مبدأ التفكير .. مبدأ الوجود هو منبثق من داخل النفس ، من العقل واجهزة الحس ، منفصلة عن العالم الخارجي الخاضع « للمنطق » ؟ .. ام هو منبثق من العالم الخارجي (المجتمع والطبيعة والزمان والمكان) منفعل به متفاعل معه تفاعلا يخفف من قسوته بالوعي والنشاط ، ويزيد في عنفه بالجهل والخمول ! .. (٤) وبعبارة اخرى : الخلاف في نقطة السير بالتفكير في الحياة والكون ، فالمثاليون والميتافيزيقيون يبدأون تبعا لاستاذهم القديم « افلاطون » من الذهن والتصور ، فيخططون عالمهم في الخيال مفترضين ان النماذج والمثل الخارجية المحسوسة فروع لاصول معنوية قائمة في الوجود المسحور اللامحسوس ، اما « الوحدة » واما الموجودات غير المشمولة للنظام الخلقى من اجتماعية وطبيعية ، فليس لشيء منها في نظرهم حساب . وانما الحساب كله لتلك الاحلام الذهبية المنقطعة عما يجري في العالم الواقعي ، ويتناولها تقديمًا وتأخيرا وتنسيقا رائعا جميلا ، ثم يرشحها لتطبيق في غير دنياها . اما الماديون فبدأوا تبعا لاستاذهم القديم « ارسطو » من النقطة المعاكسة تماما ، فساروا من الخارج الى الداخل ، وخططوا عالمهم الواقع متخذين من نماذجه ومثله اصولا لفروع ترسمها الحواس في الذهن والتصور ، والوجود عند هؤلاء : كل الوجود مترابط بوحدة عامة ، والكون منه موجود وجودا موضوعيا مستقلا عن التفكير مؤثرا به . فلا مكان في الذهن لصورة غير منعكسة عن مثال محسوس مهما بدت غريبة عن الواقع ، ثم وما من شيء يجري على مسرح الكون ، او ينبت في ارضه من خير او شر .. الا وجدير بالاهتمام والدرس والمعالجة والتوجيه - بعد الاعتراف به طبعا - بعد هذه اللوحة الخاطفة اعود لاذكر مرة اخرى بان « الواقعية » اذا وصف بها مذهب ادبي كان معنى ذلك انه من مدرسة « نظرية المعرفة » المادية . ولهذا شأن في حديث « مصطفى طلاس » يتجاوز طابعه

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثفرك المتبسم

هذه القريحة ان نمت فهي تنم عن نفس شاعر
متمكن ، اعماقه مقر للاشكال الجميلة والالوان الزاهية
الساحرة اللب .. ان هذه الابيات تؤكد لنا ان قائلها
شاعر مطبوع وملهم مبدع ... اسمعه مرة اخرى
لينطلق في عالم الشعر كالصقر حدة في البصر ، وشموخ
في التحليق :

اطفئي الشمع وظلي لهبا
في فؤادي ، ابدا متقدا
انت كالسيف رقيق ناعم
فاتك الحد .. اذا ماجردا

نحس غناء عاطفته .. وزخم وجدانه المملوء حياة
كلها اتقاد ونبض بالايمان بالحب بالانسان بالرقعة والوفاء
عندما يقول :

خمرتي عيناك يافانتسي
اعتق الخمر لعينيك الفدا
اشربي نخب لقاء اول
كلما اشرق صبح ولدا

ان هذه الرقة والوفاء على العهد المتجدد كل فجر
صباح يعطينا الضوء الاخضر لكي نرى حسن سجاياه ..
وذخر نبله ... وثناء ابائه .. انك تقف من هذه
الابيات ازاء بناء حي متماسك البنية تماسكا عضويا
بوحدة لانقص في تعبيرها ولانقص في تفكيرها . ودع
التصوير فأمره لايحتاج الى بيان وانه لمن الفضول
تنبيهك الى شأن من شؤون الحس فانت وأنا وكل
قاريء يسرح عينيه في هذه الابيات يساويننا بالانتقال
مع الشاعر الى عالمه الساحر الخلاق . وكل من يتذوق
الشعر يدرك معنا طاقة الابداع التي جسدت خلجات
النفس الانسانية الصادقة في لحظة شفائيتها .. وهذا
التركيب الذي قرأناه قبل لحظة هو آية الفن فاذا
وقفنا مع الابيات بحاسة صحيحة امتد امامنا الشعور
الصادق البعيد من التكلف وادركنا مدى الجمال الذي
يشع منها .. كما يشع من لوحة زيتية اول الامر ،

ثم انستنا براعة الموهبة اننا امام صورة ، وخيلت
لينا اننا مع طلاس في الحب والحياة .. في الرؤية
والاحساس ، ولا يكاد الاحساس يغور في اعماق
الصور .. حتى يشدنا الى مشهد عذري صوفي المحبة
ويمتد على هذا النحو حتى يمد النفس بشعلة سحرية
البهجة فيها شجو الحنين .. وشوق الحب ، وصلة
الانسان بالانسان . وهذا عذر لايحتاج الى بيان ،
وفائدة هذا النوع من الشعر غنية عن البيان كذلك .
فانه لمن الواضح ان فائدته تتعدى التاريخ المستوعب
لجميع خصائصه المرحلية ، الى صقل الذوق ، وارهاف
الحس ، واغناء العقل . اما الذي نريد ان نبه عليه
فالنظام الفكري الذي استخدم الوصف لماوراء الوصف
من الحقائق الواضحة في الصور ، استخداما ممتلئا
بصحة المعرفة ، ووضوح الرؤية والتفكير . وهناك الى
جانب المذهب الادبي تقوم مشكلة (صنع) الادب او
(عمله) ، وهي مشكلة سارية في كل المدارس الادبية
لا فرق فيها بين واقعي وبين رمزي في اتجاه .. ولا بين
حرية في اتجاه آخر . فهل الشعر ومجمل انواع الفنون
من عمل « الوحي » ام هو من عمل الابداع ؟ .. سؤال
تختلف المدارس الادبية في الاجابة عليه ، فبين الروما
نظيقية والبرناسية والرمزية والسريالية والواقعية
عصبية تتضارب بالوحي والابداع مبدئيا ، ثم تتضارب
في صميم كل من المبدئين هذين مذهبيا ويبدو ان
التوفيق بين هذه الاختلافات الواسعة هو في كون الادب
كالفلسفة ذاتي النظرة ، لذلك كانت نظرياته كالنظريات
الفلسفية لاتصلح لاتخاذها اسسا عامة كالقواعد
العلمية ، لانها خاضعة لتجارب الاديب ذاته ، وقد
تختلف تجارب اديب وتناقص ، فتختلف آراؤه تبعا
لذلك وتتناقص ايضا كما حدث ذلك لكثيرين ك « بول
فاليري » مثلا ، ومرد هذه الخلافات الواسعة كما يبدو ،
وهو نفسه يبطل حججة بعض هذه النظريات على بعض اذ
تعتبر تعبيرا عن وجهة نظر شخصية تلقي ضوءا على
المسألة في مجال الدرس او الاختبار لا اكثر .

على ان ادب الصنعة والتقليد الذي يصلح من
بعض الوجوه دليلا للقائلين بالابداع هذا الادب المنتج
بالمران دون عاطفة ، ولا معاناة تجربة يخرج من نطاق
الادب الذي يهم هذه المذاهب كلها ، فانما يعني اعلام
هذه المدارس من الادب بما حدده ، وواضحة خير
تحديد وايضاح قديمنا ، « حسان بن ثابت » ، حينما

عرف الشعر فقال :

وانما الشعر عقل المرء يعرضه

على البرية ان كيسا وان حمقا

وان احسن بيت انت قائله

بيت يقال - اذا انشدته - : صدقا

انما يعني بالادب المتوهج معاناة التجربة ومعاناة الدراسة معا . والآن مامغزى « الوحي » ؟ ومامغزى الابداع ؟ اذا كانت النتائج في مساق هذه الدراسة المتواضعة جدا جدا أهم من بسط المقدمات وتفصيل الآراء ، فاننا نرد باختصار الصراع بين هذين المبدئين الى الصراع بين (المثالية ومنها الميتافيزيقية) والمادية . ففي مذهب « الوحي » يشاء التفكير الميتافيزيقي ان يروضنا على الايمان بمصدر غامض للعبقريات ، وقد شاء من قديم الزمان ان يصنف الوحي على اساس ميتافيزيقي ايضا ، فاذا « الله » جل جلاله مصدر النبوة الدينية ، واذا « الشيطان » مصدر الشعر او العبقرية الادبية ، اما الابداع فيشيد على اساس طبيعي مادي يرى ذلك المصدر الغامض .. تلك القدرة الخارقة ، موهبة انسانية تنقاد لارادته بعد تربيتها فيصنع بها الفن متى شاء ، كما يصنع الحرفي اشياءه بادواته الخاصة . هذا اجمال للنظريتين ملخص بايضاح شديد تجنبت به غموض المصطلحات ، ورمزية لفتها التي تجمع على غير الاخصائيين . ولا يدخل في غرضي الآن ان اشرح للقارئ الصديق وجهات نظر اصحاب النظريات في المسألة ، ولكني سأصدر في ايضاحها المختصر عن التجربة اكثر مما أصدر عن النظريات ، لكون اقرب الى قرائنا الاحباب . الحق فيما رأيت من العمل الادبي انه مزاج من الوحي والابداع معا ، فليس هو وحيا محضا ، ولا ابداعا محضا ، فالادب تركيب ذهني لحقائق محسوسة ، وليس هو صنعة يدوية .. ليس هو وترا يجس ، ولا خطأ يرسم ، حتى هذه الفنون من اخواته لاتشبهه في جوهر عمله ، لذلك هو يابى ويمتنع في كثير من الاحيان ، ولذلك هو يخالف ماتريد في شيء فكرت به ، ولكنه يريد شيئا فيكون له ما أراد ، ولا يكون ماتريد في كثير من الاحيان كذلك ، وليس الوحي شيئا غير هذا ، فهل الوحي غير حالات نفسية خاصة .. وظروف ملائمة تتيح صفاء نورانيا لولادات الافكار والخواطر سوية الخلقة ، فنية التعبير ؟ .. فاذا كان الوحي هو هذه الحالات ، فانه موجود في الادب حتما ، وهو موجود زيادة على هذه الحالات بأن

يأتي فيها الادب بارادته هو ، لابرادة الاديب . بارادة ذلك المصدر الغامض المنكشف من مختزنات الوعي الداخلي حين لاتكون الفكرة الحاضرة خامرة ولا مستوفاة النضج . ومع هذا فان الاديب المنقح المثقف الدارس المجرب يستطيع بعد استقرار نصه ان ينقده فيحك ويعدل كما يصنع الرسام ، بل يستطيع الاديب ان ينشئ الحالات المناسبة للقول اذا اراد ، او مست الحاجة . يستطيع ان يصطنع الحالة التي تسمى وحيا ، فتستجيب له استجابة حقيقية بعد تأمل غير طويل ، او بعد دندنة مثيرة ، بل يستطيع الاديب ان يقدم ادبا فنيا صحيحا ، فيه ذاته وعواطفه متى شاء وان هبطت درجته الجمالية بعض الهبوط . واذا لم يكن « الابداع » امرا واقعيا في الادب فماذا نسمي هذه القدرة ؟ الوحي والابداع معا امران واقعان في الادب ، بل هما متلازمان ضروريان ، فالوحي دون ابداع وهم مستحيل التحقيق ، والابداع لا يستغني عن الوحي في اكثر الحالات . واكاد ارى الوحي شيئا كالمعدة في الدماغ مهمته الهضم ، والابداع شيئا كملكة التصميم وتفصيل الازياء وصب القوالب . فهما امران يجتمعان ويتعاونان ، لانقيضان يختصمان ويتصارعان .

ونرى في نتاج مصطفى طلاس الفكري شعر او قصة او طرح تاريخي امثلة كثيرة تؤكد تعاون الوحي والابداع على صياغة مواضيعه تعاونا يحافظ غالبا على التوازن بين الفكر والمعنى ، ولا يشذ ابدا عن الشعر الذي عرفه لنا « حسان ابن ثابت ومحمود درويش » :

قصائدنا بلا طعم ..

بلا صوت ..

بلا لحن ..

واذ لم تحمل المصباح من بيت الى بيت ..

وان لم يفهم « البسطا » معانيها ..

فاولى ان نذريها ونخلد نحن للصمت ..

حلب في ٣/١٢/١٩٨٠

الدكتور : محمد جبر

- انظر مقالنا بين الاصالة والتقليد بمجلة آراء عربية تشرين اول ١٩٨٠ .
- ٢ - من مقدمة ديوان قصيدة وشاعر للاديب مصطفى طلاس ١٩٧٩ .
- ٣ - راجع مقالنا تراننا العربي بمجلة الثقافة تشرين الاول ١٩٨٠ .
- ٤ - راجع مقالنا تزامن الاشياء بمجلة القافلة تشرين الثاني ١٩٨٠ .

الدوين . والملكتبة العربية

بقلم: محمد قندل البقاي

● مامن شك في ان العرب في جاهليتهم لم تكن ثمة التفاتة الى المكتبة ، اذ لم تكن الكتابة قد عرفت ، ولم يكن ثمة كاتبون ، ولم يكن ثمة قارئون ، وحين كتب للكتابة العربية ان تظهر أخذ عصر الكتابة يبدو في الافق ، وكان التدوين الذي سجل ما سجل مما قاله القائلون ، وأكبر الظن أن هذا التدوين الأول كان مقصورا على الحكمة تقال أو البيت من الشعر ينظم أو الحادثة ذات القيمة تسجل ، من أجل هذا لم يكن ما يحفظ من هذا المدون في الشيء الكثير ، ولم يكن للمكتبة العربية بمعناها المعروف وجود اللهم الا اذا عدنا هذا القليل المدون الذي كان يرجع اليه كلما احتيج الى نواة لتلك المكتبة العربية .

هذه الاقوال والاحداث كانت للناس بها عناية ، وهذه العناية جرتهم الى نوع من انواع الحفاظ على هذا المدون وهذا الحفاظ اقتضى لاشك مكانا مامونا يقوم عليه امين يعرف ما بين يديه .

وما نظن ان التدوين في العصر الاسلامي الاول وقف عند تدوين القرآن الكريم فحسب بل تناول معه موضوعات اخرى من الاحداث التي كانت مرجع كتاب السير فيما بعد ، وان كان الاعتماد لم يكن مقصورا على التدوين بل كان جله يرجع الى ماتعيه الملكات الحافظة ، اعني الرواة والحافظين ، ولكن الذي لاشك فيه ان هذا القليل الذي دون كان مثل القليل الذي دون أيام الجاهلية ، له أمكنته التي حفظ فيها وله الامناء الذين تولوا حفظه .

● الدواوين الاموية :

تلك صورة المكتبة العربية ، كما قلت ، في نشأتها الاولى بدت في الجاهلية ضئيلة كل الضالة واتسعت مع مجيء الدعوة الاسلامية على يد محمد صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا حتى اذا كانت الخلافة الاموية وكتب للاسلام ان تثبت قواعده وتمكن أركانه وكتب

● التدوين الاسلامي :

وهكذا كانت صورة تلك المكتبة العربية الاولى الانسا لا نملك نماذج من ذلك غير تلك النقوش على الاحجار التي تركت لنا عن عصور متقدمة .

وما ان اظل الاسلام الجزيرة العربية وطالعهم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وكانت تلك الدعوة العامة التي طوت تحت لوائها شعوب الجزيرة العربية على اختلاف قبائلها ثم طوت بعد ذلك شعوبا اخرى مختلفة ، وفي ظل تلك الدعوة السماوية أخذ التدوين يرسى خطاه ، وأخذ الكاتبون يزدادون ويكثررون وأخذت الرقاع والصحف تتداول ، وكان على رأس مادون القرآن الكريم ، دون على الرقاع والصحف ، ولقد حفظت تلك الرقاع والصحف عند عائشة رضي الله عنها ، وكانت عائشة شبه الامين عليها الى ان كانت أيام عمر ثم أيام عثمان حين اجتمع المسلمون على مصحف امام .

● مكتبات خاصة وعامة :

كان هذا التدوين وراءه مدونات الواسع واسعة ، ولم تكن تلك المدونات في جملتها ملكا خاصا بل كانت ملكا عاما اعنى تملك الدولة فيه حقا وتملك الرعية فيه حقا ، ومن حق هؤلاء ان يرجعوا اليه وكانت هذه هي الصورة الثانية للمكتبة العربية غير انها كانت صورة على صورتها في العصرين الاولين الجاهلي والاسلامي يملك الافراد منها شيئا وتملك الدولة منها شيئا ، وكان ما يملكه الافراد هو المكتبات الخاصة وما تملكه الدولة هو المكتبات العامة .

● المكتبة العباسية

حتى اذا كانت ايام الدولة العباسية استقر للمكتبة العربية وضعها واحست الدولة كما احس الافراد معها انه لا بد من جمع ما لتلك المدونات ، يجمع ما تملكه الدولة ويجمع ما ينزل عنه الافراد لتكون من هذا وذاك النواة الحقة للمكتبة العربية وكان ذلك فيما يبدو بين القرنين الثالث والرابع الهجري ، فيحدثنا ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) عن تلك المكتبة العامرة مكتبة بخاري التي كان يختلف اليها فنراه يقول : « فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس وما كنت رأيت من قبل ولا رأيت من بعد » .

وبعيد ان تكون مكتبة بخاري هذه العظمة التي جمعت الكثير الذي اذهل ابن سينا وأقر انه لم يكن قد رأى من ذلك شيئا ، هذه المكتبة العظيمة التي احتشد لها الحشد الكثير من الكتب بعيد ان تكون كونت في يوم وابيلة ولا جمعت في يوم وليلة ولا فهرست في يوم وليلة .

● بيت الحكمة :

اعني ان وجودها لاشك تقدم على وجود ابن سينا بمدى بعيد وهذا ما يؤكد ما أقول به من ان المكتبة العربية بدأت في وضعها الطبيعي مع اواخر القرن الثالث الهجري وانها قبل ذلك كان لها وجود أيضا ولكنه وجود يختلف عن هذا الوجود الكبير الذي احسنه في مكتبة بخاري . واكاد اظن ان المكتبة العربية مع ظهور الدولة العباسية (١٣٢ هـ) اخذت تثبت الخطوة الاولى من خطواتها وانها مع مسير هذه الدولة كان مسيرها هي أيضا واستقرت اوضاعها شيئا فشيئا مع توالي الخلفاء .

للدولة الاسلامية ان تكون دولة بمعناها الكامل لها ديوانها العام ولها دواوينها الخاصة ولها ولاياتها ولها ولاياتها ولها بعد ذلك كتاب يكتبون بين الخلفاء والرعية وكتاب يكتبون لانفسهم ماتجود به قرائهم من علم وادب وكتاب من الخاصة يكتب بعضهم الى بعض .

نرى ان العلوم كانت في العصر الاموي لا تدون لذاتها ، انما كان يدون ما كان منها متصلا بالدين ، فكانت جهود النحويين للقرآن التماسا للدقة في ضبط معانيه ، وجهود المؤرخين لمعرفة غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وللتفرقة بين الامم التي فتحت بحد السيف والتي دخلها العرب صلحا ، ولم يفكر المسلمون في القرن الاول في تدوين التاريخ ، انما بدأ الرواة يجمعون الاحاديث وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيتناقلونها لا للتاريخ بل لتفسير احكام الدين وهؤلاء اصحاب السير . واما تدوين التاريخ لذاته فامر بداه المسلمون في القرن الثاني عندما اشتد امتزاجهم بالشعوب التي دخلت في الاسلام ، وكانت هذه الشعوب تجيد القراءة والكتابة .

● المدونون :

واول كتاب جامع لذلك هو كتاب ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ في السيرة وكتاب آخر له من المغازي وقد ضاع كتابه ولكن ابن هشام المتوفى عام ٢١٨ هـ لخصها في سيرته والف الواقدي وهومن موالي بني هاشم كتابين جليلين ، أحدهما في المغازي والاخر في فتوح الشام ونحا نحوه تلميذه ابن سعد المتوفى سنة ٢٣ هـ فالف كتاب الطبقات الكبير وهو لا يزال الى اليوم من اوثق المراجع التاريخية وأهمها شانا .

وابتدا تدوين الشعر في القرن الثاني واشهر جامعيه ابو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ وقد جمع فيما يقولون شعر ثمانين قبيلة .

وكذلك كان التأليف في البلاغة واول من الف فيها ابو عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ للهجرة .

واهتم العرب كذلك بالنحو فكانوا يرحلون الى القبائل التي اشتهرت بالفصاحة واول من رحل الى البادية فيما نعرف يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٧٣ هـ والخليل وخلف الاحمر المتوفيان في اواخر القرن الثاني وابو يزيد الانصاري المتوفى سنة ٢١٥ هـ ثم الكسائي والنضر بن شميل فكانوا يأخذون الاعراب عن الاعراب ، ومن ذلك وضعوا قواعد النحو والفوا فيه الكتب الكثيرة .

شكري الالوسي ، وفي جنبها من جهة الغرب دار للكتب التي لم يجتمع مثلها في غير هذا المحل كثرة ونفاسة ، وقد انفرد كل فن بمحل منها وكانت فهارس الكتب عدة مجلدات ضخام (مساجد بغداد ومدارسها محمد بهجت الاتربي) .

كان هذا خط المكتبة العربية في الشرق كذلك كان في الري بيت ليكتب كما روى عن الحسن البيهقي اذ يقول : وانا اقول بيت الكتب الذي بالري على ذلك دليل بعض ما احرقه السلطان محمود بن سبكتكين فاني هذا البيت - يعني الفهرست - فوجدت تلك الكتب عشر مجلدات . (معجم الادباء لياقوت الحموي الجزء الثالث صفحة ٣١٥) .

ويروي محمد راغب الطباخ في كتابه « حلب الشهباء » ان العلامة شرف الدين عبد الرحمن العجمي باني المدرسة الشرقية بحلب وقف عليها الكتب النفيسة من كل فن من حديث وتفسير وفقه وغير ذلك وكان بها اربعون نسخة من التنبيه وجميع كتب الفزالي وكانت جميع الكتب مثبتة عند اقاربه في درج كبير فذهب في محنة تيمور (مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٥) .

● مكتبات الاندلس

اما في الاندلس فلقد اثبت ابن خلدون ان اسماء دواوين الشعر في مكتبة قرطبة عاصمة خلافة بني امية في الاندلس كانت مدونة في ثمانمائة وثمانين صفحة .

ويقول وليم درامر في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » ان مكتبة قرطبة كانت تشتمل على ستمائة الف مجلد ويقول ان فهرست اسماء تلك الكتب كان من اربعة واربعين مجلدا .

● وان هذه الكتب العربية الموزعة الان بين المكتبات الغربية :

الاسنانه والاهلية بباريس وليدن في هولندا وغيرها لتدلك على ذلك التراث الضخم الذي كانت تضمه المكتبة العربية عامة وخاصة .

هذا التراث الضخم هو الذي صرف العرب كغيرهم من الامم المتحضرة الى وضع احصاءات وافية شاملة لعلمائهم وللتصانيف التي افوها او ترجموها في ضروب العلوم المختلفة .

- مجلة « العهد » قطر -

ولن ننسى هنا ما كان للمأمون العباسي (١٧٠ - ٢١٨ هـ) من بيت للحكمة في بغداد وكان في هذا البيت خزانة للكتب يقال ان المأمون امر بترتيبها وتبويبها في فهارس تسهيلا لمراجعتها ،

ولا ننسى ان نقول ان حركة الترجمة قد ازدهرت في العصر العباسي حتى ان الخلفاء انفسهم كانوا من العلماء ومن هؤلاء :

المنصور وكان اغلب اهتمامه بالنجوم والطب .
والرشيد فقد امر بنقل كتاب المجسطي .
واهتم المأمون بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص .

وهكذا كتب للمكتبة العربية ان تنمو وتستقر مع العصر العباسي في الشرق وتأخذ مستواها من المكتبات الصحيحة بدليل الفهرست الذي وجده ابن سينا في مكتبة بخاري .

ولم تكن المكتبات مثل مكتبة بخاري في بلوغها هذا المستوى العلمي المتبع في مكتباتنا في العصر الحاضر . فقد رأينا ابن الفرطبي في كتابه « الحواث الجامعة والتجارب النافعة » (صفحة ٧٦) يحدثنا ان الخليفة المستعصم (٥٨٨ - ١٥٦ هـ) قصد المدرسة المستنصرية لزيارتها وكان بهذه المدرسة مكتبة فتفقدتها الخليفة ، وهنا يقول ابن الفوطى : وانكر عدم ترتيبها .

وهذا يعني ان المكتبة لها فهارس شأن مكتبة بخاري مع انها انشئت بعدها علما بان المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) الذي انشأ هذه المدرسة وانشأ بها تلك المكتبة كان كما يقول ابن الفوطى في كتابه « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة » كان قد تقدم الى الشيخ عبد العزيز بن دلف الخازن الناسخ الصوفي شيخ رباط الحريم بالحضور الى المدرسة المستنصرية واثبات الكتب واعتبارها ، كما تقدم المستنصر الى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره ايضا فحضر واعتبرها ورتبها احسن ترتيب مفصلا ايضا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب تناولها .

● مكتبات المدارس :

ولكن هذا لايعنيني هنا ، لكن يعنيني ان المدارس هي الاخرى كانت تضم مكتبات وهذا يحدوني الى ان اقول ان نشأة المكتبات كانت مع نشأة المدارس في دواوين الخلافة كما تفيد عبارة ابن الفوطى .

وفي وصف المدرسة المستنصرية كما يقول محمود

الرؤية الجمالية عند أبي حيان التوحيدي

بقلم: أحمد زياد محبك

في أسلوب علمي جاد ، يمتاز بالعمق والاتزان ، والموضوعية والانصاف ، تمت في كلية الاداب بجامعة حلب ، يوم السبت ٢٩/١١/١٩٨٠ مناقشة رسالة الماجستير التي قدمها المعيد في كلية الاداب ، الاستاذ حسين الصديق ، وموضوعها الرؤية الجمالية عند ابي حيان التوحيدي .

نتائج ، ثم اشاد بجهود الاستاذ المشرف ، ورفع اليه شكره ، والى لجنة المناقشة .

وفي التعريف بموضوع البحث اشار الباحث الى ان التوحيدي هو احد كتاب القرن الرابع الهجري ، صاحب كتاب المقابسات ، وكتاب الامتاع والمؤانسة ، وكتاب الصداقة والصديق ، وكتاب البصائر والذخائر ، وغيرها من الكتب والرسائل ، وهي بعض ماسلم من كتبه ، التي اقدم على حرقها او اخر حياته ، فقد كان التوحيدي قلقا متشائما ، وقد عاش حياة بائسة ، اذ كان يعمل في نسخ الكتب ليؤمن لقمة عيشه ، وما يمتاز به هو انه يقدم فهما للجمال يعبر عن مفكر وعي ثقافات عصره ، وعاش ما يضطرب فيه من تيارات واتجاهات ونزعات ، وكان فيلسوفا متصوفا ، تآثر

وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الاساتذة الدكتور فؤاد المرعي ، وكيل الكلية ، للشؤون الادارية ، وهو المشرف على الرسالة ، والدكتور فائز الداية ، رئيس قسم اللغة العربية ، في كلية الاداب ، والدكتور عصام قصبجي مدرس مادة النقد ، والادب الاندلسي .

وقد حضر المناقشة الاستاذ الدكتور احمد هبو ، والاساتذة في الكلية ، وعدد كبير من طلابها ، ومن الضيوف ، وكان ضيف الشرف الاستاذ الدكتور صالح الاشر .

وقد بدأت المناقشة بكلمة تقدم بها الباحث ، فعرف بموضوعه ، ثم ذكر مسوغات البحث فيه ، ودوافعه ، ثم تحدث عن خطته فيه ، وعن نهجه ، و اشار الى مالقيه من صعاب ، وما خلص اليه من

يؤكد ان الصدق هو الاصل ، وان الكذب عارض لمنفعة ، كما اثار مشكلة النظم والشعر والتوحيد يؤكد ان الوزن ليس وحده ما يجعل من الشعر شعرا .

وبعد ان انتهى الباحث من تقديم رسالته ، والتعريف بها ، تفضل الاستاذ الدكتور عصام قصبجي بعرض رايه في البحث ، فأثنى على صاحبه ، وأشاد بجهوده ، وأكد أهمية الموضوع ، ودقته ، ولكنه لاحظ فيه عدة مآخذ ، عرض بعضها ، وكان منها :

- تأكيد الباحث عربوية التوحيد ، لاقامته في بغداد ، وجهله بالفارسية ، ودفاعه عن العرب ، وقد رد الدكتور عصام تلك الحجج ، وأشار الى أن الباحثين جميعهم يرون أن التوحيد كان فارسي الاصل .

- وصف الباحث التوحيد بأنه كان يحس بالنقص ، لعمله في نسخ الكتب ، ولذلك كان يتردد في ذكر آرائه ، ويلجأ دائما الى ذكر آراء أساتذته ، وقد رد الدكتور عصام ذلك ، ورأي ان التوحيد كان متورعا عن التسرع في ابداء آرائه ، مثلما كان وفيها لاساتذته ، أمينا على آرائهم ، لا يدعيها لنفسه .

- اعتبار الباحث الشرقيين روحانيين ، يؤمنون بالفيبيات ، متأثراً في ذلك بآراء المستشرقين ، وقد أكد الدكتور عصام أنه من الصعب اطلاق مثل ذلك الحكم على شعب ما ، فللغرب نفسه قيمة روحية وقيمة الفيبية ، ولكن الغرب يلجأ الى مثل تلك الاحكام ليدعي لنفسه العلمية والموضوعية .

- سعي الباحث الدائم الى ربط الجمال بالواقع ، وفهمه من خلاله فحسب ، وتأكيده ان الجمال مادي ، في اغفال لدور المثل في فهم الجمال ، وادراكه ، وفي بعد عن تقدير الجمال المثالي .

وكانت ثمة مآخذ أخرى ، عرض لها الدكتور عصام ثم اثنى على البحث ، وأشاد بالايجاز فيه ، وتقدير ما هو مطلوب منه ، من غير حشو ولا تطوير ولا تكرار ، وتجنبه كثيراً من المزالق .

ثم تفضل الاستاذ الدكتور فائز الداية ، بعرض رايه في البحث ، فحمد للباحث انتقاءه الموضوع

بالمعتزلة ، وكان ينطلق في فهمه للجمال من نظرة مثالية ، ولكنها لاتخلو من فهم دقيق للواقع ، وارتباط به صادق صحيح ، وقد اثار في فهمه للجمال مشكلات ، وتعرض لقضايا ، تعبر عن ذهن وقاد ، فقد اثار مشكلة النظم والنثر ، والالهام والموهبة ، والابداع والادراك ، وعالج قضايا كالانسان ، والاحساس الجمالي ، والفنون وتصنيفها ، والصورة الفنية ، والمعرفة .

وذكر الباحث انه جعل رسالته في مدخل وخمسة فصول وخاتمة ، ثم لخصها بايجاز ، فقد عرض في المدخل الى فهم العرب للجمال ، وتطوره عبر العصور من الجاهلية الى القرن الرابع ، ثم عرف بالتوحيد ، فتحدث عن نشأته وثقافته ومذهبه الفلسفي . وفي الفصل الاول عرض لنظرية المعرفة وطبيعة الجمال عند التوحيد ، فتحدث عن موقف التوحيد من الانسان ، وهو الموقف الذي يعلي فيه الانسان على جميع الكائنات ويجعله المدرك الوحيد لمعنى الجمال ، ثم تحدث في نفس الفصل عن تمييز التوحيد بين الجمال المجرد ، والجمال النافع ، وأشار الى ترجمة بين هذا وذاك ، وقرن فهمه للجمال بفهم أرسطو وكانط ، وفي الفصل الثاني تحدث عن الابداع الفني عند التوحيد ، وهو الذي يرى أن الابداع وقف على الانسان ، الذي يصدر فيه عن العمل الجاد المتقن ، وليس عن الموهبة وحدها . وفي الفصل الثالث تحدث عن التذوق الجمالي عند التوحيد ، وهو التذوق الذي تشترك فيه الحواس ، ويقوم على الادراك والتذكر ، والذي هو في طبيعته عملية قوامها الجهد الواعي الذي يقود الى ادراك الجمال ، بالعقل وحده . وفي الفصل الرابع تعرض لتصنيف الفنون عند التوحيد ، فأشار الى وحدة الفنون ، كما يراها التوحيد ، ثم الى تصنيفه لها ، من صورة وخط وشعر وغناء . وفي الفصل الخامس عرض للادب وقضاياها الجمالية عند التوحيد ، وقد اثار في هذا الفصل مشكلة الشكل والمضمون ، والتوحيد يقدم الثاني على الاول ، وان كان لا يفصل بينهما ، كما اثار مشكلة الصدق والكذب ، والتوحيد

● الرؤية الجمالية عند ابي حيان التوحيدي ●

واثار موضوعات لم تثر من قبل في ابحاث علم الجمال ، وهي موضوعات كبيرة ، منها الاحساس بالجمال ، والصورة الفنية ، والنظم والنثر ، والصدق والكذب ، ثم اكد ان نقطة الاعجاب في البحث هي كشف العلاقة بين الواقع والمفهوم الجمالي . وبرز نقاط اعجاب اخرى ، وكان مثالا للاستاذ المشرف ، العارف بتلميذه الباحث ، والمشجع له .

ثم رفعت الجلسة للمدادة ، بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من نقاش الهادي ، والصادق ، والعميق ، والمخلص ، الذي تابعه الجمهور بانابة وتشويق ، ولما عاد اعضاء ، اللجنة ، تلا الاستاذ الدكتور فؤاد المرعي قرار اللجنة ، الذي تم فيه منح الباحث درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز .

وهكذا اكدت كلية الاداب مرة اخرى ماتملكه من طاقات جادة ، يمكن لها ان تقدم في البحث جهوداً مخلصة ، وهي التي منحت من قبل ، وخلال بضعة اشهر قليلة سابقة ، درجة الماجستير ، لثلاثة باحثين ، في ثلاثة موضوعات ، كانت :

١ - الدكتور سامي الدهان ، حياته وشعره ، للباحث احمد عصلة ، و ٢ - اثر ادب الحكم والوصايا والامثال الفارسي في الادب العربي في العصر العباسي الاول ، للباحث عيسى العاكوب ، و ٣ - الاديرة واثرها في الشعر الخمري في العصر العباسي الاول ، للباحث المعيد عبد السلام الراغب . وهي جميعا بحوث جادة ، دقيقة ، تنم عن جهد مخلص ، ولكنها تفتقر جميعا الى مطالعة المصادر الفربية بلغتها الام ، ولاسيما حين يكون الموضوع مرتبطا بمثل هذه المصادر ارتباطا وثيقاً ، مثل موضوع الرؤية الجمالية .

ويبقى الامل في الرسائل الجامعية التالية ، وهي لن تكون لنيل الماجستير فحسب ، بل لنيل الدكتوراه ايضاً ، ولاسيما بعد ان اعلن في كلية الاداب بجامعة حلب وجامعة دمشق ، عند البدء بتسجيل رسائل الدكتوراه ، للعام الدراسي الجديد ١٩٨١ - ١٩٨٢ .

احمد زياد محبك - حلب

كلية الاداب

واعتماده النصوص ، وانطلاقه منها ، ثم لاحظ فيه ايضاً عدة مآخذ ، عرض بعضها ، وكان منها ،

- مناقشة الباحث آراء التوحيدي من خلال فهم الباحث نفسه للجمال ، ورأيه فيه ، الذي هو صدى لفهم الجمال المعاصر ، من غير الانطلاق في المناقشة من خلال الفهم العام للجمال في عصر التوحيدي نفسه .

- اعتبار الباحث الآراء التي يقدمها التوحيدي في مؤلفاته ، وهي في معظمها آراء اساتذته ، هي نفسها آراء التوحيدي ، وقد اكد الدكتور فائز ان هذه الآراء لاتمثل الرؤية الجمالية عند التوحيدي ، وانما تمثل الرؤية الجمالية في القرن الرابع الهجري .

- اعتماد الباحث مصادر غير رئيسة في بحثه ، وعودته الى مراجع قريبة مسيرة ، ومن ذلك كما اشار الدكتور فائز عودة الباحث في فهم رأي كانط الى الموسوعة الفلسفية المسيرة ، وعدم رجوعه الى مصادر فلسفة كانط الرئيسية .

- حاجة الباحث الى مقدمة ، يعرض فيها فهمه الخاص للجمال ، وهو الفهم الذي يناقش آراء التوحيدي من خلاله ، وضرورة تحديد الباحث مصطلحاته في تلك المقدمة ، وهي المصطلحات التي يضطرب احياناً في استخدامها .

وكانت ثمة مآخذ اخرى في البحث ، عرض لها الدكتور فائز ، ثم اثنى على الباحث ، واكد انه كان يسير في طريق سليمة ، وان تعثره هنا وهناك ، لاينفي سيره السليم والمستقيم .

ثم تفضل الاستاذ الدكتور فؤاد المرعي بعرض رأيه في البحث ، فاكد دقة الملاحظات التي ابداهها زميلاه الاستاذ الدكتور عصام والاستاذ الدكتور فائز ، ونصح للباحث بان يأخذ بها ، حين يرجع الى الرسالة لتعديلها وتنقيحها . ثم اثنى على الباحث ، واشاد بجهوده ، وهي الجهود التي اطلع عليها بنفسه ، وتابعها ، فهو المشرف على البحث ، ثم اكد استقلال شخصية الباحث ، ودابه ، وجلده ، كما اكد جدة البحث ، فما سبقه من دراسات لم تقدم شيئاً من الرؤية الجمالية عند ابي حيان ، بمثل ما قدمها البحث ، من تكامل ، فقد أعطى الباحث صورة موحدة ، للرؤية الجمالية عند ابي حيان ،

سوق عكاظ في التاريخ والأدب

« منشورات نادي الطائف الأدبي »

بقلم : محمد حمد الصويغ

.. من الكتب الجيدة التي أصدرها نادي الطائف الأدبي - لجنة الآثار التاريخية - كتاب : (سوق عكاظ في التاريخ والأدب) .. بمناسبة فكرة احياء سوق عكاظ في نفس الموقع الذي كان فيه أيام الجاهلية .
.. وهي فكرة جيدة لاشك تتبناها الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالملكة للنهوض بالحركة الادبية المعاصرة هناك بعد فتور كاد ان يصيبها بالشلل لانهماك معظم الادباء والشعراء في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج (بالاسهم والاراضي والعقارات والبيع والشراء) .. مما صرفهم عن الادب او صرف الادب عنهم - لا ادري ايها اصح ..

.. ولعل نجاح الكتاب في الاسواق الداخلية للملكة وهو من بواكير اصدارات النادي .. ساعده بعد ذلك على الاصدارات الادبية الاخرى .

اهم الاسواق العربية في الجاهلية وفي صدر الاسلام ايضا ، وقد اندرس ذكره اثناء حروب الخوارج فنهب السوق وتناساه الناس بل تناسوا موقعه ، وكان يقال حتى عهد قريب انه يقع على السيل الكبير وهو موقع مشابه لالتقاء الواديين المذكورين .

.. اما سبب الحرب التي دارت في هذا السوق وامت عليه فقد وقعت في أيام - الفجار - وسميت الحرب بعد ذلك بهذا الاسم لانها وقعت في أشهر حرد لايجوز فيها القتال ، فانه لما اجتمعت كافة العرب في عكاظ ، وكان سيد هوازن معهم ويدعى عروة الرجال قد اجار - لطيمه - للنعمان بن المنذر كان يبعثها ل في كل عام في سوق عكاظ ويبيعه فيها ، واللطيما تعنى ابل تحمل الطيب والبز وطرائف من طرائف الحيرة اي اقمشة من هناك ، فلما انتصف بابله في الطريق لحقه البراض الكناني فقتله في موقع يقال له النقرة واخذ لطيمته وارسل رسولا الى حرب بن أمية

.. والكتاب يعرض في شيء من التفصيل لتاريخ السوق الادبي ، وقد تراءى امامي وانا اقرأ الكتاب شكل السوق عند احياؤه .. وتراءى امامي مجموعة من الشعراء وهم يتسابقون لالقاء قصائدهم فيه ، بينما عج بمجموعة اخرى من النقاد لتقييم شعر هذا او ذاك من الشعراء .

.. اما موقع السوق فقد اختلف عليه ، فمنهم من يقول انه على مرحلتين من مكة ومنهم من يقول انه من الطائف اقرب ، ويبعد عنها بنحو مرحلة او مرحلتين ومنهم من يقول انه بين نخلة والطائف ، وبعد كثير من الاجتهادات والمداولات والدراسات الطويلة العريضة في المراجع الادبية القديمة وجد انه في منطقة (الحوية) ويبعد عن الطائف بنحو اربعين من الكيلو مترات ، وبالتحديد في المكان الذي يلتقي فيه الواديان الكبيران: وادي شرب ووادي الاخضر عند الحرة السوداء .

.. وسوق عكاظ كما هو معروف لدينا يعتبر من

● سوق عكاظ في التاريخ والادب ●

ثم قرن المنازل ثم بطن المليح ثم بحرة الرغاء من وادي لية - فوادي نخب ثم القرن الاسود . . ثم دخل الطائف .

.. اذن . . فموقع السوق هو بين مكة والطائف رغم اختلاف الروايات وتشعبها . .

.. وكانت العرب تحيي هذا السوق على مدى عشرين يوما كاملة من اول شهر ذي القعدة ثم ينتقل السوق بعد ذلك الى ذي المجاز لمدة عشرة ايام ، ولكن اشهرها على أي حال هو سوق عكاظ .

.. اما سوق المجنة فيقع في شمال مكة بواد يسمى - الظهران - قرب جبل « الاسفل » ولعلهم اطلقوا عليه هذا الاسم لانه يقع في اسفل مكة اما سوق ذي المجاز وهو من الاسواق الثلاثة الشهيرة فيقع في - عرفة - عند جبل كبك بمكة .

.. بيد انه يجب ان لا يظن البعض ان هذه الاسواق هي مقصورة على - الشعر او انها اسواق ادبية صرفا - ولكن العرب اختاروا هذه الاسواق الثلاثة واهمها - عكاظ - لانها مكان فسيح للتجارة بأنواعها ، وبه نخل كثير ومياه غزيرة ، ثم انها قريبة من مناسك الحج فهي اذن اصلح الامكنة لتبادل السلع التجارية بين المشترين والبائعين وهي أشبه ما تكون بمحطة تجارية كبرى لتبادل التجارة سواء كانت من السلع الغذائية او الالبسة او غيرها ، شأن هذه الاسواق شأن الاسواق التجارية العامة .

.. بيد ان - عكاظ - اتسعت اغراضه بعد ذلك فكان ميدانا للترفيه عن الحاضرين وتسليتهم بالطرائف والفكاهات . . ثم تطور الامر بعد ذلك فأصبح السوق ميدانا للشعراء يفاخرون فيه عن طريق الشهر بقبائلهم وایامهم وانسابهم وحروبهم .

ومن أشهر ما شهدته السوق من اشعار هي تلك التي تسمى بالنقائض استفحلت حتى اضحت طريقا من طرق التعاظم والعلو مما اثار الجدل والصخب بين القبائل العربية في ذاك الوقت ، ومن ثم نشبت الحروب المشهورة في تاريخ العرب من جراء هذه النقائض الشعرية . . ولعل هذه النقائض كانت هي السبب المباشر للقضاء على السوق وتدميره . . والله أعلم .

.. وسوق عكاظ كان يحتل مكانة كبيرة في نفوس اهل الجاهلية مع السواقين الاخرين مجنة وذي المجاز ، ففي هذه الاسواق يجتمع اشراف العرب وزعمائها

سيد قريش ينهي اليه مقتل عروة بن الرحال فاستشار حرب رؤساء قريش وبني كنانة ، فاشاروا عليه ان ينصرف من مكة ولا يحضر عكاظ ، ففعل ذلك ، بيد ان القيسية علموا بمقتل عروة فشمروا عن سواعدهم واتجهوا الى عكاظ ، وكان من بينهم قيس عيلان بن عامر بن مالك ويلقب « بملاعب الالسنة » وهو عم عامر بن الطفيل فلحقوا بكنانة في بطن نخلة فدارت معركة حامية الوطيس ، سرق على اثرها السوق ، ثم اتت الحرب على معالمة واطلاله واندرت منذ تلك الحرب .

.. وتسمى هذه المعركة في ايام العرب بيوم نخلة . . وهو من ايام الفجار كما اسلفت ومن هذه الايام ايضا يوم شمطاء ويوم العباء ويوم الحريرة ، كلها ايام معارك دارت في مكة ايام الجاهلية .

.. وان اختلف الرواة حول موقع السوق فهذا يعود كما يقال الى ان للطائف من مكة اربعة طرق مختلفة اذا علمنا وتأكد لنا ان سوق عكاظ انما يقع بين مكة والطائف ، اما الاول فهو طريق يمر بعرفات وقد مر به الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه عند عودته من دعوة ثقيف الى الاسلام وهو يعتبر من اصعب الطرق الاربعة واوعرها في ذلك الزمان ، ثم الطريق الثاني ويخترق منهل حنين ويتجه نحو الشرق مارا بعقبة (دجنى) . . ثم ينحدر الى وادي قرن ثم الى الطائف . . وكانت جميع القوافل في الجاهلية تسلك هذا الطريق وليس من المستبعد ان يكون هو نفسه الطريق الذي تربص فيه البراض الكناني ليقتل فيه عروة الرحال ويستولي على لطيمته وقافلته بأسرها .

.. اما الطريق الثالث فهو يمر بسهل يسمى - الشرائع - ومن ثم وادي يدعان - ثم بوادي - سبوحة - فقرية الزيمة فوادي نخلة اليمانية فقرن المنازل او هو ما يسمى ب (السيل الكبير) الذي يظن ان موقع السوق فيه ، ثم المناقب ثم الطائف وهو الطريق الاسهل في ايام الجاهلية لعبور القوافل رغم انه اطول مسافة من الطريق الثاني .

.. ثم الطريق الرابع والاخير ويتجه من مكة شرقا حتى يجوز الجبال فيمر قرب عكاظ تماما الى الطائف . . واولئك الذين يقولون ان سوق عكاظ يقع بين نخلة والطائف انما قصدوا هذا الطريق . . وفي هذا الطريق بالذات وقعت جميع ايام الفجار وقد سلكت ايضا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم اثناء غزوة الطائف الشهيرة . . فهو يكون قد سلك اذن النخلة اليمانية

وتجارها لتبادل الراي والمشورة في كثير من الامور ، فهو أشبه بمجالس الشورى في وقتنا هذا فهذه الاسواق اذن لم تقتصر على التجارة والادب فحسب ، وكانت تقام في الاشهر الحرم تحاشيا لنشوب القتال بينهم .. رغم انهم لم يفلحوا في ذلك .. فالحروب كانت تندلع بينهم في هذه الاشهر كما راينا عند الحديث عن ايام الفجار .. والفزوات التي كانت تحدث في الايام الحرم .. او الاشهر الحرم .

.. بيد اننا يجب ان نفند المقولة التي تدعى ان سوق عكاظ عرف ايام قريش في الجاهلية ولم يعرف قبل ذلك وقارىء التاريخ القديم يدرك دون شك ان سوق عكاظ لم يقتصر على عهد قريش ، وانما امتد الى قبل ذلك في عهد خزاعة ثم قبل ذلك في عهد جرهم لان عمر قريش لايزيد عن خمسمائة سنة قبل المبعث ، بينما سوق عكاظ يمتد تاريخه الى القرن الثامن قبل الهجرة بل ان له الفضل الاكبر في المحافظة على اللغة العربية وتوحيد اللهجات الادبية منذ ذلك التاريخ .. ودليل ذلك ان كل شاعر في السوق كان يحاول ان يفهم ما يقوله من شعر الى كافة الحاضرين وأن يلقنه اياهم ليحفظوه ، وعملية كهذه لا تتحقق عن طريق لهجات قريش الخاصة وانما عن طريق لهجة ادبية موحدة عامة .

.. لقد كانت منابر عكاظ كالصحافة اليوم .. طريقة اعلامية لنشر الثقافة والادب والعلم بين العرب وقتذاك وقد امها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر دينه عندما رأى تجمع الناس في عكاظ ، ومن هذا المنطلق بدأ كفاحه ضد قريش .. ومن ثم ضد الجهل والتخلف والظلم والجبروت والقهر وغيرها من الادوات التي كان يمارسها اشرف قريش مع اهل مكة .

.. وقبل مبعثه عليه الصلاة والسلام اشترك في حرب الفجار ، وكان يرمي بالنبل في صفوف قريش ، وكان له من العمر اربعة عشر ربيعا ، وفي هذا الشأن يقول بعيد مبعثه : (كنت أنبل على عمومي يوم الفجار ، ورميت بأسهم تمنيت اني لم اكن فعلت) .

.. وكان عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه شديد التعلق بسوق عكاظ وكان يرهف السمع لخطيب العرب وحكيمهم قس بن ساعدة الايادي ويشنى عليه .

.. ولعل من المناسب هنا ان اتقل رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حاول في اول مبعثه ان يجذب الناس الى دعوته في سوق عكاظ ، تقول الرواية على لسان عبد الرحمن العامري احد اشرف قريش

(.. اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن بسوق عكاظ فقال ممن القوم .. ؟ .. قلنا : من بني عامر بن صعصعة قال : من اي بني عامر .. ؟ .. قلنا : بنو كعب بن ربيعة ، قال : كيف المنعة فيكم .. ؟ .. قلنا : لايرام ما قبلنا ولا يصطلى بنا رنا قال : فقال لهم : اني رسول الله ، فان اتيتكم تمنعوني حتى ابلي رسالة ربي ولم اكره احدا منكم على شيء .. ؟ .. قالوا : من اي قريش انت .. ؟ .. قال : من بني عبد المطلب ، قالوا : فأين انت من بني عبد مناف قال : هم اول من كذبني ! وطردي ! قالوا : ولكننا لانطردك ولا تؤمن بك حتى تبلغ رسالة ربك ! .. قال : فنزل اليهم والقوم يتسوقون اذ اتاهم بجرة بن قيس القشيري ، فقال : من هذا الذي اراه انكره ؟ .. قالوا : محمد بن عبد الله القريشي قال : مالكم وماله .. ؟ .. قالوا : زعم انه رسول الله يطلب الينا ان نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه .. ! .. قال : فماذا رددتم عليه .. ؟ .. قالوا : قلنا في الرحب والسعة نخرجك الى بلادنا ، ونمنعك مما نمنع به انفسنا) .

.. اذن لعب سوق عكاظ ايضا اضافة الى انه تجمع تجاري وادبي واعلامي في ذلك الوقت ، لعب دوره الكامل في - اللقاءات والتجمعات التي كان ينادي بها الرسول الاعظم في بداية دعوته ، وحصل عليه الصلاة والسلام على مؤيدين لدعوته في بدايتها من سوق عكاظ .

.. ومن اهم خطباء السوق كما اسلفت قس بن ساعدة الايادي الذي كان الرسول الكريم يعجب بخطبه ، وفيه يقول احد الشعراء القدامى ممن عاصروه مادحا وقد اتخذ مثلا سائرا من الامثال العربية ا

فانك ضحاك الى كل صاحب

وانطق من قس غداة عكاظها

.. ولعل من الصواب ان اقول وانا اختتم هذه المقالة ان معظم اصحاب المعلقات السبع او العشر كانوا يقولون هذه الاشعار في سوق عكاظ .. قبل التفكير في تعليقها على استنار الكعبة كما كانوا يفعلون في جاهليتهم .

.. وبعد ، فان (سوق عكاظ في التاريخ والادب) هو مرجع هام لا بد لكل مثقف من الرجوع اليه للاحاطة علما بهذه السوق وغيره من الاسواق العربية القديمة التي لعبت دورا هاما في تغيير وجه الحضارة العربية في ذلك الوقت .

الشاعر: نبيه سلامة

يقلم: نoman كوز

امانيه سلامة كما تناديه العامة او سليم نباهة كما تعرفه الخاصة فناظم در شان الشعراء الخالدين وهو يقدم للقارئ شوباً من : نيمر الافكار اليانعة - و فرات الالفاظ السائفة - و زلال التجاوب والاتساق - و سلسبيل الانبثاق الطوعث - و كوثر صفاء الابناء عن « كنه مافي الفؤاد » شوباً محلي بصدق العاطفة - و معطراً بخلوص النية .

حياة في سطور :

- ولد نبيه بن نقولا سلامة في مدينة حمص بتاريخ ٤ - ٣ - ١٩٠٨ .
- عمل مراسلاً لجريدتي « الف باء الدمشقية » و « لسان الحال » البيروتية طيلة عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ .
- وفي عام ١٩٢٧ نال اهلية التعليم السورية . و علم في مدارس : محررة ، حماة ، دمشق حمص .
- اصدر مع فريق من ادباء حمص مجلة « البحث » في عام ١٩٢٨ .
- ١٩٣٠ اصدر رواية « جاكين او لذائد الانتقام » - اشترك عام ١٩٣٢ مع بعض الادباء بتأليف كتاب « فقيد حمص » .
- هاجر الى البرازيل عام ١٩٣٥ .
- حرر في جريدة « الرابطة السورية » منذ عام ١٩٣٦ الى ان اغلقتها حكومة البرازيل مع بقية الصحف الاجنبية لمناسبة الحرب العالمية الثانية .
- اشتغل بالتجارة منذ عام ١٩٤٠ ، ولكن حظه كان فيها قليلاً اذ التهمت النيران محله التجاري ،



افضل تعريف للشاعر نبيه سلامة ، من كبار شعراء العرب في البرازيل الكلمة الموجزة التي كتبها عنه الاديب توفيق قربان من مدينة سان باولو : « ككتيل بالعربية شوب - الككتيل مزيج الشربة والشوب مزيج اشربة . في سورة الصافات نتلو : « فانهم لاكلون منها ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم » .

وفي الادب العربي انذار نصوح « يا مكثري الدعوى اخفضوا اصواتكم ماكل رافع صوته بمؤذن » .

اصحاب الدواوين ناظمو در او ناظمو خرز . وكلهم يقدمون للشعراء شوباً لتغذية العقل وترويح القلب فالذي يشرب من شوب الخراز تجرع « شوبا من حميم » فيه كبريت و رصاص مذاب « وشواظ من نار ونحاس » « سورة الرحمن » .

نفحة من شعره :

عندما تفتحت عيون نبيه سلامه وامثاله من الشباب العرب ، بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ، راوا الاستعمار الغربي يقبل ويجثم على صدور العرب في كافة اقطارهم . فخابت آمالهم بالوعود التي قطعها المستعمرون للعرب ، عندما كانوا يحاربون الدولة العثمانية . واخذ هذا المستعمر يعمل على تمزيق وحدة البلاد ، وتقسيمها الى دويلات ، فكانت اشعاره تتفجر من الالم ، ولكنها تؤمن بالمستقبل ، وبقدرة امته العربية على اداء دورها في كافة ميادين الحضارة والمجد . فقال:

**دور العروبة عقد ليس تفرطه
كف ولا نظمت امثاله الشهب
لم يبرح المجد معقوداً بحاضرها
كانما المجد وقف صانه العرب**

مأساة فلسطين :

استأثرت قضية فلسطين ومأساتها باكثر اشعاره ، وهي تصور كلها في نفس هذا الشاعر مدى الحماس البالغ التي تنطوي عليه نفسه العربية . وعندما فشلت الدول العربية عام ١٩٤٨ في معاركها التي خاضتها مع العدو الصهيوني ، وعادت منها مكسورة ، قال ، والامل يعمر فؤاده :

**قل للعنول اتند لم يخفق العرب
اشاوس غالبوا الدنيا وماغلبوا
ومن يعيب على الفرسان كبوتها
وهل تبدد انوار الضحى السحب
بغداد مافتىء المأمون يكلؤها
وعن دمشق بنو مروان ماغربوا
عجبت لالرز لا تعنو بواسقة
شيخ تجده الامام والحقب
والنيل يرمي عن الاهرام ملحمة
اعجوبة عجزت عن حلها الكتب**

نكسة ١٩٦٧ :

وكانت نكسة حزيران ١٩٦٧ ، فنظم هذه القصيدة وجعل عنوانها « خجل وامل »

**كحلت عيني بالرمد
كي لا ارى حولي احد**

فانتقل الى بعض المدن البرازيلية مواصلا عمله التجاري .

– عام ١٩٦٤ اشترك بتأسيس «جامعة التعليم»
– استقر منذ عام ١٩٦٧ في مدينة سان باولو .
وحرر فيها في مجلة « المراحل » . كما انه لا يزال حتى الان يحرر في جريدة « الانباء » البرازيلية . ويراسل جريدة « حمص »
– عام ١٩٧٠ اصدر كتاب « داود شكور اديب وخطيب » .

– عام ١٩٧٣ اصدر ديوان « اوتار القلوب » جمع فيه ماظمه من شعر منذ حداثته . وجعله خمسة اجزاء : حلقات مبشرة ، هيمات الحنين . قنابل بلا دخان ، نواحة مداحة ، اللقاط بعد الحصاد . ولكل جزء مواضيعه الخاصة . وقال عنه : انه شعر مناسبات من الفه الى يائه ولكنه ليس بدعة جديدة مبتكرة فهو كامثاله من الدواوين المعروفة ولولا المناسبات لما كان لنا الشعر .

وقد علقت في ذهنه منذ حداثته عبارة كان يقولها الكثيرون بشيء من الاستهتار « شعر مناسبات » واخذ يعتقد بان هذا النوع من الشعر هو من سقط المتاع لانه يقال لمناسبة خاصة وتنتهي مهمته بانتهاء الغاية التي اوجدته . وظلت هذه القصيدة مسيطرة عليه ، يرمي شعره كما يرمي شعر الاخرين لانه « شعر مناسبات » الى ان جاءته رسالة من صديق له في بيروت . الشاعر رفيق الاسعد ، يقول له فيها ان احب انواع الشعر اليه « شعر المناسبات » حينذاك عاد الى قرارة نفسه ، واخذ يراجع ماوعته مخيلته من شعر قديم وحديث . فاذا به كله « شعر مناسبات » . فلولا مناسبة صراع الاسد لما قال بشر بن عوانه « افاطم لوشهدت ببطن خبث » . ولولا موت صخر لما قالت الخنساء : « يذكرني طلوع الشمس صخراً ، ولولا دخول امرؤ القيس الى خدر عنيزة لما كانت معلقة « قفانك »

ولولا عنجبية عمرو بن هند لما وصلتنا معلقة : « بأي مشيئة عمرو بن هند » ولولا انتصار المعتصم في عمورية لما كانت رائعة ابي تمام : « السيف اصدق ابناء من الكتب » . ولولا ، ولولا ، الى مالانهاية له . لان المناسبة لاتحصر في الحوادث الفردية ولكنها تشمل الوصف والعاطفة وجميع مايتصل بحياتنا . وبذلك يؤمن نبيه سلامه بانه لولا المناسبات لما كان لنا شعر .

جمعت من فرقتهم
وغسلت ادران الجسد
والتبر إن عالجتة
بالنار تصلح ما فسد
حفظ اليهود له يداً
وله حفظنا الف يد

* * *

قوموا لنخلق عهدنا
لاتربطوا اسماً بفسد
ومتى الذئاب تكثرت
لاينفع الشاء العمد
اني ارى شعباً تمنطق
بالصروبية واتحد
يستل من عزماته
سيفاً يقارع من رعد
متواثباً نحو الوغى
ليرد ما العاتي حصد

* * *

قولوا لمن هتك الحدود
حذار فالشمل انعقد
إن غيب السبت الضحى
فالبعث في يوم الاحد

الى القدس :

وخاطب القدس بهذه القصيدة :

مهبط الوحي لن ينالك « بلفور »
ولو دفق « التميز » سلاحا
نحن من امة اذا ما الاعادي
غمزتها ترخص ارواحا
كلما اطبق الفريب عليها
ايقظ الجور في الصدور الكفاحا
هبه « ريكارد » حولة واقتداراً
سيلاقي بكل فرد « صلاحا »

* * *

كي لا ارى قبسا تدفق
كالآتون على البلد
كي لا ارى الجبار
جولياتا يجند له الولد
كي لا يقال اما رأيت
بعوضة تدمي الاسد
كي لا ارى شعباً يفر
من التحرر للصفد

* * *

دار الزمان ولم نزل
نبنى القصور على الزبد
ثارت علينا العاصفات
فقوضت كل العمد
وتناثرت احلامنا
كالشمع يصهره الوقد
انطل في سبل الدجى
متسكعين الى الابد
اين القرار لامة
ينتابها جزر وقد

* * *

إني ارى جرحاً ينز
ولا ارى طباً خمسد
لاتمسح الشكوى الجروح
ولا تعوض مفتقد
هبوا لاطفاء اللهيب
فليس يجدينا الفند
يانائمين على الخيال
اما لنومكم امد
انا لا الوم اللص
مختلساً واعنف من وقد

* * *

ديان حاولت الاذى
فعدوت افضل من رشد
ايقظت من غفلاته
شعباً تنافر وانفرد

غفل الخطب في فؤاد فلسطين
فادمى من روعه الأعرابا
فاذا الشام جمره تنلظى
والعراق المنفود حث الركابا
وتنادى الاباة من كل صقع
ومشوا مشية الليوث الفضابى
من يرم في مواطن العرب داراً
يجد الصارم الصقيل جوابا

المولد النبوي الشريف :

في عام ١٩٤٨ اقامت الجمعية الخيرية الاسلامية
في سان باولو حفلة في ناديها ، احياء لذكرى المولد
النبوي الشريف ، دعي اليها الشاعر حيث القى
قصيدة رائعة منها هذه الابيات :

اليوم عيد - مرجبا يا عيد
يجلو القلوب قدومك المشهود
ولد النبي فجدت اثوابها
دول يجدد مجدها المولود
ماضي العزيمة لاتقر جهوده
فطن بتسير الشعوب سديد
احيا بانحاء الجزيرة امة
تعنو ليرقها الرفيع بنود
جعل الهداية مشعلا بكتابه
فمشت على النور الصحيح البيد
وتواثب العربان في طلب العلى
فمضى بهم ولواءه معقود
تفزو البلاد حضارة عربية
والقادرون المهتدون عديد
إن خلد التاريخ امة يعرب
فمحمد اولى به التخليد

* * *

يا صاحب العيد الذي تذكاره
مجد على مر الزمان جديد
فاصفح اذا شاهدت عيدك ساكنا
فالعيد في العام العتيد سعيد

ايهذا المفري الشرير بارض
كيف تقوى على اقتحام العرين
ضاقت الارض باليهود فهاموا
لاتحاول احياء شعب دفين
بعض ما يلتقي جنودك منا
عزمات كالصارم المسنون
اورثتنا الجدود مجداً ثميناً
وسنبقى على التراث الثمين

* * *

يا فلسطين ماعدمت حماة
ينصبون اللواء فوق الدماء
لايهابون من دنو المنايا
فهى في شرعهم سبيل التعاء
وقف الكون معجباً بشباب
لم يرعهم تراكم الاشلاء
بيضوا بالدماء صفحة شعب
سودتها غباوة الرؤساء

* * *

يا ضحايا الجهاد ما اندثر الجسم
ولا سيطرت عليه الرموس
انتم في رعاية الحق احياء
وفي الوطن الحبيب شمس
كل جرح حملتموه وسام
كل صوت قذفتموه خميس
رن في مسمع الزمان هتاف
نقلته الى الخلود الطروس

* * *

في حنايا القدس الشريف شباب
يتمشى الى العلى استشهدا
اعزل يمهر الرصاص فؤاداً
لاينال الرصاص منه مرادا
مارث الارض بالدماء فكانت
شعل الخلد فوقها تهادى
وتداعى الى الممات رجال
علموا الناس بالممات الجهادا

* * *

رسول الى الوطن :

اننا نحى بنعمى وددن
فاسمعوها انها نعم الرسول

حبه لحمص :

وقد اشتهر الشاعر بحبه لمسقط رأسه « حمص »
والتفني بها ، والاعجاب الشديد بكل ما فيها . فهي
تلتصق بروحه وقلبه ، وتتحرك في كل نبضة من نبضاته .
لقد غادرها مكرها في ريعان الصبا ، وبراعم شبابه
لما يكتمل تفتحها بعد .

فيقول في حفلة تكريم الشاعر الياس قنصل
عام ١٩٣٧ :

تباركت يا حمص بين البلاد
وامرع روضك طول المدى
ثلج بحجبتك عنا البحار
ورسمك رغم البعاد بدا
حملنا منالك بين الضلوع
وما خل من يحمل الفرقدا
كان المهاجر حمص تسير
وتنشر ما حولها السؤدا
تبشينا في ناشيتك الوثوب
ويتخذون السها مقصدا
تغفل فنيا هواك الصحيح
فحالت حماك لنا معبدا
معاذ الهوى ان يفل البعاد
بنين يجلونك الاكبدا
اذا ما الت بك النائبات
وناديت كنا جميعاً مدى

في الوصف والفضل :

وللشاعر نبيه سلامة جولات موفقة في الوصف
والغزل . ومن اقواله عن شيمة العاشق :

ملك الفؤاد باعين فتانه
من نصري مما جنى جفناه
فاتيت اسأل بلسماً ورضابه
لي بلسم ، لكن ابي اعطاه
قال اصطبر فالصبر شيمة عاشق
لاكان حب مل من شكواه

وكم تهز الذكريات اوتار القلب ، وتحمل نسمات
عاطرة اريج الوطن الى الاعماق . وكم تطوف اخيلة
الشاعر في دنيا الاحبة والاخوة ، ويرى صورهم في
النجوم الساحرة ، والحمامات الطائرة ، واللفحات
العاطرة . فيقف ويناجي :

ايها السائل عن ليل الغريب

لم ينم

هزه الشوق الى دار الحبيب

فوجم

يفسل الالام بالدمع الصبيب

والندم

يانجوما شهدت ليل المحن

اسدلي الستر على هذي الفصول

واهلي البشري الى اهل الوطن

لتكوني بينهم نعم الرسول

* * *

كلما رفرف طير في الصباح

سيرانى

مدنفا يقضي الليالي في نواح

وامانى

ليت لي من مهجري النائى براح

للمفانى

واذا خيب احلامي الزمن

ياطيور الصبح روجي للكلول

واصبغي الماساة باللون الحسن

لتكوني بالحمى نعم الرسول

* * *

كلما هبت علي النسمات

اتذكر

زمننا كانت لنا فيه حياة

تتلور

حكم الدهر علينا بالشتات

وتنكر

فحملنا البعد شوقاً وحنين

وبعثنا نسمة الصبح تقول

وضمه مجلس مع فتاة حسناء تدعى « ثريا »
وطلب اليه ان يصفها ويصف فسطانها الاسود فقال :

قالوا « ثريا » قلت ، شمس الضحى
تسبي النهى بجمالها الخلاب
قالوا وهذا الثوب قلت سحابة
ياما احيلى الشمس خلف سحب

وطلب اليه ان يصف رفيقتها التي تلبس الثوب
الازرق حذراً من غيرتها ، فقال :

وقال لي صاحبي صفها فان لها
ثوباً بديعاً ووجهاً فاتناً يغري
فقلت فسطانها يحكي بزرقته
لون السماء وهذا الوجه كالبدر

وقال في حالة يأس :

إن حال بيني العاذلون وبينها
ورموا على خدر الحبيب نطاقا
وفقدت ما ارجو وصح رجاؤهم
ورأيت في بسمااتهم ارهاقا
ناديت اهلا بالمات لعلنا
يوم القياسة في السما نتلاقى

ودخلَ ومعه صديقه المنشد الاستاذ محمد القطيع احد
المقاصف ، وكانت فيه مضيضة حسناء تتدلى بين نهديها
قلادة تمثل المسيح مصلوباً . فانحنى الاستاذ القطيع
وراح يستعطفها حتى تسمح له بتقبيل السيد له المجد ،
فدفعه المشهد ليقول :

حسنا كالظبي الفرير دعابة
تسبي النهى بجمالها الموهوب
تخذت قلادتها المسيح معلقاً
رمزاً لكل متيم محروب
فجثا « محمد » يستفيث بصدرها
طمعاً بلثم الصدر لا المصلوب

وقال في الحسنا والقهوة :

وابت شراب البن ابقاء على
وجناتها من سمرة فضاحه

لاتجزعي فالورد في اكمامه
يرجى ويهمل ان امام وشاحه
والبدر يخترق السحاب ناصعاً
والشمس تلقى بالفمام رجاحه
قل للمليحة ان تكف دلالتها
ليست قلوب العاشقين وطاء
انا ما رايت حديقة فتانة
إلا وذرتها الرياح هباء

* * *

رقص الصبح على وجنتها
وتعالى عطرها يسبي النظر
ليس هذا بشراً بل ملكاً
من راي الاملاك غيري في البشر ؟

* * *

خطرت ودغدغة النعيم بوجهها
وبقيت اذبل حسرة وتلفها
فكانها اسحق بعد نجاته
وكانني يعقوب فارق يوسف

* * *

لاتفضبي ان قلت للفيد الحسان
بانهن ملكن عاطفتي ولبي
مالي سوى قلبي وانت ملكته
ولقد احب سواك اخفاء لحي

* * *

وهناك قصائد كثيرة ، فاضت بها قريحة الشاعر ،
وقد اوردها في ديوانه « اوتار القلوب » واطلق عليها
عنوانا « اللقاط بعد الحصاد » .

ان نبيه سلامة الشاعر ، هو نفسه الانسان المثالي ،
يتفجر عاطفة واحساساً . واسمعه يقول نثراً :
عندما تتحرك العاطفة تبدو آثارها في قسامتنا سواء
كان عن غبطة أو ألم . كل ما نراه ونسمعه يثير العاطفة .
ومتى تحركت الاحساسات ينطق اللسان ويعرب عما
يختلج في باطننا .

● الشاعر نبيه سلامة ●

ليتفاوه اولاده من بعده . وخاض معركة الحياة ، فلم ينجح كما نجح غيره من المفترين . فالأقدار عبست في وجهه ، والتهمت النيران محله التجاري . وهذا الميدان - ميدان المادة - وهو المطمح والمبتغى في نظر كل مهاجر . لا يصلح ليكون ميدانا لشاعر ، تومضه وخزة الألم ، وتعذبه زفرة الثاقل ، وتدميه وهو في طريقه الى عالمه المثالي الآخر كي يخلق فيه كالطائر الصداح ، لايهمه الا الشدو والتفريد ، ولا يبالي بالريش الذي يكسب والجوف الذي يحتويه . وهل الشاعر الا ذلك الفنان ، ذلك الطائر المفرد في سماء اللانهاية ، والمطل من على ، يضحك من المخلوقات الراكضة المتهافئة ، المتصارعة في سبيل المال .

وهذه حال نبيه سلامة في غربته . لا يابه للمادة ، ولا يطمع في الثروة . ولكنه يبني مجدداً من الاخلاص والوطنية ، ويجمع ثروة من الوفاء والمحبة ، ويعيش من اجل فنه ووطنه . وغالباً ما يشكو من ظلم الحياة وقسوتها ، بأنفة وكبرياء ، فيقول :

ما للزمان يجد في ارهاقي

ولي الشباب ولا اطيع غلابا

افنيت عمري والمصائب جمة

ماذا جنيت لا ستحق عذابا؟

هذا فؤادي للصحاب وقفته

لا يعرف الزلفى ولا يتحابى

ايكون ذنبي ما حملت من الوفا؟

ويكون من سان الاباء مصابا؟

مازلت اسأل والزمان مما ظلي

ودنا المغيب وما سمعت جوابا

هذا غيظ من فيض ، وجدول من انهار وبحور ، لاحد كبار شعراء العرب في المهاجر ، عرضته بايجاز للقارى العربي ، كي يتعرف ولو قليلا ، على هذه الفئة المختارة من رواد الادب والشعر في بلاد الاغتراب . هذه النخبة الكريمة التي نذرت حياتها للحفاظ على لغة الضاد في نفوس وقلوب ابناء العروبة المفترين . وهي لعمرى : اعظم رسالة ، وانبل غاية .

السويداء

نعمان حرب

فالفرح وليد العاطفة ، والحزن وليد العاطفة ، وكلاهما متساو في الجوهر . والكلمات تميز عوامل الألم عن البهجة .

وثقة مني بوحدة الشعور وتجانسه فقد جمعت النقيضين غير مميز بينهما .

الانسان الذي لا يشعر مع الغير هو جماد . من عاش غربياً عن محيطه فهو بعيد عن الانسانية . صدق من قال : « المشاركة بالفرح تضاعفه ، والمشاركة في الحزن تناصفه ، فمن رغب براحة الضمير عليه ان يرافق السراء والضراء لتتجلى رفته وفهمه للحياة .

الانسان عضو متم للمجتمع فلا يجوز ان يتخلى عن مركزه .

الحياة ملأى بالمفاجآت ، ولا يمكن التغلب عليها بغير التضامن . وما تفصله اليوم قد تسترده في الغد .

ماحضرت اجتماعاً الا وشعرت بانني من صميم المنزل ، فصفت عندما هزجوا ، وبكيت عندما ناحوا .

اقدم بعض ماقلته في حالتي لوعة وغبطة ، وكنت صادقاً لاني ترجمت بكلمات ما قالته العاطفة بخلجات .

وما بكيت ذوي القربى بأكثر من ذوي الصداقة . فما قلته في الجميع كان عصير الشعور ، والشعور لا يتجزأ ولا يأتينا بالتقسيت .

هذا ما قاله نبيه سلامة عن شعوره ونظرته الى الحياة . وقد يختلف معه كثيرون من الادباء والشعراء ، حول النظرة الى الحياة . وفلسفة وجود الانسان ، وقربه وبعده عن المجتمع الذي يعيش فيه . وفي كلا الحالين ، فان حياة نبيه سلامة الانسان تنطبق عليه كشاعر . وكم رثى من الاصدقاء والمعارف رثاء صادقاً بعيداً عن التكلف والزلفى . وهو كما قال لم يبك ذوي القربى بأكثر من ذوي الصداقة . وهذه الصفات العالية التي تنم عن خلق رفيع ، وطهارة في القلب والوجدان ، وصدق في الشعور والاحساس . اشتهر بها شاعرنا بين اقرانه وزملائه في المهجر .

لقد هاجر نبيه سلامة الى البرازيل في عام ١٩٣٥ ، تاركاً مراتب الانس وجنات الخلد . يحمل بين جانبيه الآمال والاحلام . آمال المستقبل واحلام الحياة الوارفة . انه كغيره من بني وطنه . يطمح الى النعمة والشراء ، الى بناء مستقبل متين الدعائم ، وارف الظلال ،

بين الروض والقفر

للشاعر: أحمد حسن فقي

ضحك الروض ساخراً من جديب
وهو يزهو بجدول وغدير
وكروم خضر .. ونخل طوال
يجد العاشقوه ماتشتهى النف
من ثمار نضيجة وزهور
وطيور صوادح بلغى الطيب
وظلال يرنو إليها هجير
ذاده الوبل عن حماه واقصا
ما احلى الرؤى به تخب اللـ

في قفار من حوله تترامى !
كندى المزن .. يطفئان الاواما !
حسنا طلعة .. وجادا طعاما !
س .. ويلقون راحة وسلاما !
عاطرات بوردها والخزامى !
ر .. فيستعذب الهوى الانعاما !
من بعيد .. ولا يطيق اقتحاما !
ه .. فعاد الهجير يشكو الغماما !
ب .. وتشقى وتسعد الاحلاما !

* * *

واستدار الهجير للروض غضبا
قال . ياروض ايها الساخر المع
خل عنك الفرور .. رب جديب
واستقاما على الطريقة حتى
رب صوف يشوكننا سوف يفدو
انت ياروض بالتفاخر والتيب

ن من السخر والشقاء المرير !
جب بالظل والجنى والعبير !
وحرور تعللا باليسير !
اذن الله بالشهي النضير !
بعد حين ملاءة من حرير !
ه .. بهذى النعماء غير جدير !

ه . . . يوم من الربيع مطير !
طى . . . إلا ملك الضعيف الصغير !
من بلاء العقبى . . . وسوء المصير !

لست إلا غرا يباهى بجندوا
فهو كالطفل ليس يملك ما اع
انت لا تملك الربيع فحاندر

* * *

من كلام اللظى الجديب !
ء من الحاسد الحريب !
فتهاوى إلى القليب !
وما عز من نصيب !
رغمه اليانع الرطيب !
م على جوه الصيب !
م كمن حظه اللهب !
ك سوى تاعس سليب !
ر . . . إلى حرك المذيب !

قهقهه الروض ساخرا
قال . هذا هو الهرا
أكل الحقد قلبسه
نلت بالسعي ما ار . .
وسابقى على المدى
وسيبقى . . وما يحو
ليس من حظه النسيب
فامض عنى . . فما ارا
إ مض عنى الى الصخو

* * *

د لفرط الشجون يذرى الدموعا !
ه . . . وقد شامه حزينا جزوعا !
طاويات على هواه الضلوعا !
ر . . . فقد يكرم القضاء القنوعا !
ن . . . شقيا بحظه . . . مفجوعا !
ت . . . ومن اجلكم ساطوى القلوعا !
ما اراد القضاء منى الخضوعا !
ثم يفدو لدى المساء منوعا !

ومضى الفقر مايريم . وقد كا
ورآه الثرى الجديب فواسا
وأنته عواسج وصخور
ضارعات إليه ان يلزم الصب
فاستوى راضيا . وقد كان غضبا
قال . إني من اجلكم قلت ماقلد
وسارضى بما يريد قضائي
فلقد يصبح الزمان كريما

فتلاقى الجوعى احتضانا وزادا

وتلاقى الشبعى امتهانا وجوعا !

ودار الفلك الدوا
فلم يبق من الروض الـ
واورق ذلك القفر
ولم يشمت بروض الامـ
بلى . قد قال ما اكر
وواساه . فسال الدمـ
وقال له : رعاك الله
لقد اوغلت في طهر
وقد اوشكت ان اهتـ

ر بالسعد .. وبالنجس !
ذي اختال سوى اليبس !
واصبح يانع الفرس !
س حين هوى الى الرمس
م هذا الدرس من درس !
ع ممن ضل في الحدس !
من فكر ومن حس !
ك .. إذ اوغلت في رجسى !
ف .. يا اكرم من نفسي !

وقلت لنفسي حينما خلت انها
الم تسمي ؟ قالت بلى وساستوي
لقد سرت شوطا في الضلالة او شكت
وقد سمعت اذناي اكرم عبرة
وليسا هما مني باصوب نظرة
فخذ بيدي عهداً علي بانني
وكفارة منا كلينا على الذي

تراودني للنسى حيناً .. وللكبر !
على الدرب بعد اليوم في السر والجهر !
خطاي به ان تستقر على الجمر
من الروض . إذ جافى الهدى . ومن القفر !
الى الخير في عليائه .. والى الشر !
وإياك لن نسعى الى مربع الخسر !
مضى في سدور في الخديعة والمكر !

ليست حياة الخلق سفراً سظوره
فيا ليتني سطر يضيء فما يرى
تركت معاذيري .. فما ثم عاذر

بها السطر حيناً قد يشيح عن السطر؟!
به قارىء إلا الجميل من الذكر !
وقد سمعوا الجم الكذوب من العذر!

محمد حسن فقي

سفر

شعر: صقر حمدان عليشي

الى « ندى »

ولي شفف ان اسافر فيك
واوغل في الفامق الفامض

ولي شفف ان اجيء كرمح
واطعن في صدرك النابض

انا قادم .. إن يكن الف نهد
وراء قميصك ، بالرابض

تاهب بي عطش احمر
إلى الشرب من لونك الحامض

ايوجد يابنت قلب صحيح
بحمى التصاقك لم يمرض ؟ !

أولى صباحتي «يا ليل»

شعر: وفاء علي

يا صاحب الليل المضحك بالعبير وبالطيبوب
انا نجمة الحب المضيئة في الشمال .. وفي الجنوب
ضيعت عمري كي ارى ليل الحب بلا غروب
انا مذقرات الليل ارقني ، واقلقني .. وجيبي
يمتصني القا ، ويوقد في دمي وهج اللهب

* * *

ايقظت في «يا ليل» اشواق الحبيب الى الحبيب
خفقات هذا القلب ام شهقات هذا العنديل؟
فيه المنى والذكريات ، وفيه هدهة القلوب !
مرحى لهذا «الليل» يشعل الف صبح في دروبي ..

وفاء علي

١٩٨٠/١١/٢٩

لطفلة الغيور

للشاعرة هند هارون

« في الذكرى الثالثة السنوية لغياب عمار »

ألف من الايام والحزن الكبير سحب يومي
في كل نبض يرتقي حزني الى آلام قومي
والليل يبحث ساهراً عن غفوة ترتاد نومي
ومسيرتي رهن الضياع
وأحسني نفساً تباع
من يشتري ذاك المتاع
ويعيش أوصاب الجياع

* * *

وثالثة بلا زمن من السنوات في وهني
أداريها .. أسامرهما وتبقى أنت مؤتمني
أرى في ظلها رغداً بدمع الروح يغمري

* * *

حديث اليوم لا مذياع ، لارا دار ينقله
أسجله لتبقى أنت في الاعماق مؤثله
وأهتف باسمك المنداح في الآفاق تحمله

في موكب الشعر الحنون يمر طيف الذكريات
بين العيون ، على الجفون وعبر أنسام الحياة
في ثغر زاهرة تموج على القلوب المرهفات
في دمع ناكلة تسائلها دموع الامهات
في موقف الكبر العجيب ، يلوح في صمت الاباة

* * *

والذكريات تلح في خلدي
وأرى السرير يئن في جلد
وعليه تنشر ذرة الكبد
وأغيب بين اللغو والرشد
ماعدت أدري .. هل أرى ولدي؟؟

* * *

لكن غيابك يابني هو الحضور
في الدار في الاسرار في ملح الحبور
في رؤية الاصحاب ... في ومض السطور
في الشاطئ المشتاق .. في الرمل الحرور
كل يحن .. ومهجتي تبغي العبور !!
أو لست طفلتك الغيور؟!

* * *

ومن نجم الى نجم ، يضيء الحرف مشعله
أرى عمار متقدماً ، وقلب الكون منزله

* * *

بالامس كررت الزيارة بين أحضان المساء
ونقلتني للبحر أصبح حيث إعصار الشتاء
وسرحت بي بين المروج ، وكنت لي طفلاً براء
لكن منزلج الصخور ، يكاد يرميني افتراء
وتضمني .. تحنو .. تهدد بين أحضان المساء

* * *

وأفئق حيث « لاجيرة^(١) » شدت على قدمي
تفتن في ألمي
لكن من فقد الوحيد
لا .. ليس يوجعه الحديد
لا « جسس » يؤذيه
لا وخز يديه .. !!

* * *

يا صانعاً مني أساطير الامومه
أبدعت في قلبي أحاسيا حميمه
أبدعت في شعري الحياة
نسفاً بصدر الامهات
بالامس « لامارتين^(٢) » حدثني

وأصخت أسمع في خشوع
عن « جوليا^(٣) » تلك الصغيره
تلك الاثيره

وتوسدت عيني الدموع ...
ماتت صغيرته بلا وطن ..
وهو الغريب يعيش للمحن
لبنان كان مهادهها ودثارها ...
وتساءلت نفسي الحزينه
كم صغيره .. كم كبيره
في ذرى الارز !!
والدماء

حجبت عين السماء
أخجلت لون الضياء
لست ثكلني ياسماء
غضب عم التراب
والحراب ...
مزقت صدر الاخاء
والرجاء

عمار قلبي اليوم ينفطر
لزلازل ، لاتبقي .. لاتذر
آلام قومي رهن موجديتي
والعاصفات غبارها البشر
صدري الجراح .. وأنت بلسمها
فيء السؤال .. وعندك الخبر

هند هارون - اللاذقية

١ - أصبت بحادث اضطرني الى الجيره .

٢ - شاعر فرنسي .

٣ - ابنة الشاعر التي ماتت في العاشرة في لبنان .

الظل المتواري

شعر: محمد جلال قواس

ماذا أروم وقد حصت بذاري
لو تدرك الأيام ما أخفى وما
ان تدفن الجمرات في أعماقه
حلم الشباب واي حلم قد مضى
أغمدت آهي واستكنت الى الدجى
افتات من خيط الوميض مشاعراً
اسمو إلى نبضات قلبي حالماً
افنيت عمري باحثاً عن مامن
قد ضقت ذرعاً بالحياة فمن يرى
حسبي من الايام انى قابع

والشيب كلل بالوقار هزاري
يطوي الفؤاد بنبضه الهدار
فدمي المتيم ان خبت اوتاري
غير الحنين وبحة القيثار
اصطاد حربي من رؤى الاسفار
تحنو علي بهمسة استنفار
بالحب ... بالاطيار .. بالازهار
مل الشراع شواطئ الإبحار
غيري الحياة مواطن استقرار
في الليل ارسم ظلي المتواري

محمد جلال قواس
الجزائر

حسرة عاشق

لمحمد سليم عزوز

لدفنت جميع الاحزان
ان تقطع هام الشيطان
يتلظى وهج النيران
لعوالم دنيا المرجان
هل تدري انك شطاني
اكذا عيناك اضاعاني

* * *

فيثور الشعر بركان
ويحطم كل الجدران
وتسجى السهد بأجفاني
إعصار زعزع اركاني

* * *

قولي فدالك اعماني
وبحثت بعزم الفرسان
لم الق بكل البلدان
واطال الصمت فاضناني
لاتقفي وقفه حيران
احداً في الدنيا يهواني

محمد سليم عزوز

آه لوقلبك يهواني
ومضيت سيوفاً غايتها
فانا في شوقي عنترة
وخيالي موج يقذفني
هل تعرف نفسك ما ابني
ليلي بعيونك أعشقه

امطارك تفرع نافذتي
واحس بطيفك يسرقني
ما اقبل ليل آنستي
إلا وحسبتك عاصفة

هل اتمر صدرك ياقمري
سافرت بعيداً عن ارضي
عن وجه حلو يجذبني
إلا عصفوراً اسكرني
قولي امواك بلا خجل
إني من دونك لا ارضى

رسالة رفاع الطهطاوي إلى حركة الصحافة العربية مقدم : زياد كامل

قلة جدا من يعرفون ، من جمهور القراء ، ان رفاع رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣ م) ادى الى حركة الصحافة العربية رسالة هامة في تطورها ودفعها اشواط طويلة طويلة الى الامام والاطلال بها على افاق رحبة واسعة لم تكن لها من قبل .

صحفية اخرى باسم (التنبيه) لكنها لم تصدر فعلا ، وهذه الصحف كلها ماتت بخروج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٢٢ اصدر محمد علي صحيفة (جرنال الخديو) وكانت تطبع بمطبعة القلعة بالقاهرة وبمعدل مئة نسخة بالعربية والتركية وتوزع على رجال الدولة وتتضمن اخبار الحكومة وبعضا من قصص الف ليلة وليلة ، وسنة (١٨٢٨) انشأ محمد علي (الوقائع) ولم يك ظهورها منتظما وكانت تقتصر اوتكاد على الاخبار الرسمية اي انها كانت اقرب ما يكون للجريدة الرسمية بايامنا هذه ، ٢ - وواضح ان هذه الصحف كلها لاتمثل الصحافة الحققة وهي ابعدها ما تكون عن المفهوم العصري الحديث للصحافة التي عرفها رفاع الطهطاوي ، اما صحف مصر تلك فهي اقرب الى النشرات الحكومية منها الى الصحف .

ولهذا راي رفاع لزاما عليه ان يعرف جمهور القراء بذلك الوقت بالصحافة الحديثة ، والجدير بالذكر انه كان يطلق على الصحف تسميات تبدو لنا اليوم غريبة غير مانوسة فيسميها (كازيطات - جرنال - تذاكر يومية - وراقات يومية - الوقائع) ، ٣ - والجدير بالذكر ايضا ان العامة بمصر الى الان يستعملون مصطلح (الجرنال) ، وواضح ان رفاع عندما يستخدم مصطلح الوقائع ليدل بها على الصحف انما استمدته من صحيفة الوقائع المصرية .

والوزر في ذلك يقع على جمهرة الباحثين الذين تجاوزوا هذا الجانب من رسالة رفاع الحضارية الضخمة التي اداها للاجيال العربية ولحركة النهضة العربية الحديثة ، اذ قصروا ابحاثهم على جوانب معينة لا يحددونها عنها حتى باتت بمثابة القاسم المشترك بين دراساتهم وابحاثهم عن رفاع .

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث او الفصل من دراستنا المطولة عن رفاع ورسالته لنهضتنا الحديثة علنا نسد به هذه الثغرة الواسعة والفجوة العميقة فيما كتب عن رفاع من ابحاث ونير به هذا الجانب الهام من رسالة رفاع لحركة النهضة العربية الحديثة .

الجانب النظري من رسالة رفاع :

خلال سنوات اقامته بباريس (١٨٢٦ - ١٨٣١ م) كطالب للعلم والمعرفة بها ، عرف الطهطاوي الصحافة الحديثة المعاصرة ، نعم ان مصر قبل هذه الفترة قد عرفت الصحافة ، عرفتها لاول مرة على يد نابليون الذي اصدر صحيفتين فرنسيتين هما (العشار المصري) وهي صحيفة علمية اقتصادية تختص بنشر ابحاث الجمع العلمي ومناقشاته وتصدر كل عشرة ايام ثم (بريد مصر) وهي الصحيفة الرسمية للحملة وتصدر كل اربعة ايام وهناك نشرة صحيفة اخرى تولى تحريرها السيد اسماعيل خشاب وهي (سلسلة التاريخ) وهي سجل لمحاضر جلسات الديوان والحوادث الهامة وحاول نابليون ان يصدر نشرة

فيطلع عليها الخاص والعام ويعرف قصة الظالم والمظلوم من غير عدول عما وقع فيها ولا تبديل وتصل الى محل الحكم ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة) ١٠ . ثم ان الصحافة وسيلة اعلامية هامة تعود بالنفع على المواطنين (ومن الامور النافعة في التجارات ، الجرنالات ، فيكتبون فيها كثيرا عن البضاعة النافعة والجيدة الصنعة يمدحونها ليروجوا السلع وليعلموا الناس بها وصاحب البضاعة يدفع لها شيئا نظير ذلك) ١١ .

ولعل أهم جانب في رسالة رفاة الصحفية هو حديثه عن حرية الصحافة والتي تدخل بالطبع ضمن اطار حرية الراي والتعبير التي اولها رفاة من فكره السياسي الاهتمام الاكبر حتى باتت قضية الحريات العامة الشغل الشاغل له في مصنفاته يؤكد عليها ويلح في مؤلف جديد له وبكل كتاب يكرر احاديثه عنها في اكثر من فصل من فصوله ١٢ ، واول ما تعرض رفاة لحرية الصحافة كان من خلال ترجمته لدستور (١٨١٤) وواضعه لويز الثامن عشر ١٣ ، يقول رفاة بترجمته للمادة الثامنة من هذا الدستور (لا يمنع انسان في فرنسة ان يظهر رايه وان يكتب ويطبعه بشرط الايضر مافي القانون فاذا اضر ازيل) ١٤ . وواضح تماما ان حرية الراي ههنا تشمل حرية الصحافة وحرية الراي وبضمنها حرية الصحافة وتعد عند شيخنا رفاة واسطة هامة فعالة من وسائط اطراد النمو والتقدم في الدولة وقد عقب رفاة على النص السابق بقوله (ومن فوائدها انها تقوي كل انسان على ان يظهر رايه وعلمه وسائر ما يخطر بباله مما لا يضر غيره فيعلم الانسان سائر مافي نفس صاحبه خصوصا الورقات اليومية المسماة بالجورنالات او الكازيطات) ١٥ . وفصل رفاة اكثر فاكثر بحرية الصحافة حيث قال (وهذه الجرنالات مأذون فيها ان تقول ما يخطر ببالها وان تستحسن وتستقبح ماتراه حسنا او قبيحا وان تقول رايتها في تدبير الدولة - سياسة الدولة ، مالم تضر بذلك فانه يحكم عليها وتطلب بين يدي القاضي) ١٦ . ويلاحظ بجلاء ان الحرية التي يعنيهها رفاة في نصوصه السابقة (١٤ - ١٥ - ١٦) هي الحرية المنظمة بالقانون وليست حرية الفوضى والعبثية واللامسؤولية .

لا ان رفاة مقتنع تماما بحرية الصحافة والتعبير والراي ولهذا اهتم بتبيان ماترتب عن تدخل السلطات الفرنسية بزعامة الملك (شارل العاشر) في فرنسا بحرية الراي والتعبير والصحافة ، من احداث جسام تمثلت بثورة قوية عازمة سنة (١٨٣٠) اطاحت بالملك

يعرف رفاة الصحافة على النحو الاتي (ومن الاشياء التي يستفيد منها الانسان كثير الفوائد التذاكر اليومية المسماة الجرنالات وهي ورقات تطبع كل يوم وتذكر كل ما وصل اليه علمهم في ذلك اليوم والجرنال الواحد ينطبع منه غالبا للبيع ٢٥ الف نسخة وكل جرنال تكثر نسخة على حسب رغبة الناس) ٤ - والصحف انواع منها السياسية ومنها الادبية ومنها العلمية والى ما هنالك (والجرنالات مختلفة الانواع والاصناف فمنها ماهو لذكر اخبار داخل المملكة وخارجها ومنها ماهو مخصوص بامور المملكة فقط وماهو للمعاملات وما هو للطب ولكل علم على حدة) ٥ - وكل صحيفة بباريس تتبع حزبا او مذهبيا سياسيا « الجرنو عصب ، فكل جماعة لها رايتها في مذهب ، كل يوم تقويه وتحاميه وتؤيده) ٦ - ولكل صحيفة مراسلون ينقلون لها الاخبار (وارباب الجرنو يعرفون الاخبار قبل غيرهم لان لهم مراسلات مع سائر البلدان) ٧ - والصحفيون يعانون ويكابدون في عملهم الكثير الكثير اذ كثيرا ما يتعرضون لضغوط تمارسها عليهم جهات معينة (وهم يتعرضون للمدح والذم والاستحسان والاستقباح والاغراء والتحذير الى غير ذلك) ٨ .

والصحافة عند رفاة ليست فحسب ليعرف المرء منها الاخبار المستجدة بالعالم بل انها وسيلة هامة نشطة وفعالة من وسائل نشر الثقافة والمعرفة (فان الانسان يعرف منها سائر الاخبار المتجددة سواء كانت داخلية ام خارجية ، الا انها تتضمن اخبارا تتشوق نفس الانسان الى العلم بها ، على انها ربما تضمنت مسائل علمية جديدة التحقيق او تنبيهات مفيدة او نصائح نافعة) ٩ - والصحافة هي منبر المواطن والمواطنيين فمن خلالها يصل صوت كل مواطن الى الاخرين وهي الى ذلك بعرف رفاة تمثل ما يسميه بعضهم اليوم (بالسلطة الرابعة بالدولة) اذ تاخذ دور الرقيب والحسيب فنعمل على توطيد وتعميق الايجابيات وتشيد بها وتحث الجميع عليها ، وبالوقت عينه تعري السلبات وتكشفها للراي العام وتسعى حثيثة لاستئصالها وتجاوزها كما انها وسيلة لاحقاق الحق والعدل والانصاف ، انها باختصار تمثل برأي رفاة ما يصطلح عليه بعضهم بمصطلح (صوت الامة او الشعب) او بمصطلح (ضمير المجتمع الحي) قال رفاة بهذا كله (ومن فوائدها ان الانسان اذا فعل فعلا عظيما او رديئا وكان من الامور المهمة كتبه اهل الجرنال ليكون معلوما للخاص والعام كذلك اذا كان الانسان مظلوما من انسان كتب مظلمته بهذه الورقات

والحوادث المحلية بيد ان عصر ازدهارها الحقيقي شهدته باشراف رفاة عليها ولعل اكبر دليل على ذلك خطاب بعث به محمد علي الى من كانوا يتولون تحرير الوقائع قبل الطهطاوي يقرعهم على نشر خبر لا يليق نشره (لقد اخذنا العجب في درج مثل هذه الحوادث القبيحة، فعليكم من الان فصاعدا ان تدرجوا الحوادث اللائقة بالنشر وتتجنبوا نشر ما لا يليق نشره) ٢١ . واخذ محمد علي على ضوء ذلك ان يرى ويدقق بنفسه مسودات الجريدة ويبيدي رايه بها قبل نشرها ٢٢ . وكان رفاة يتولى تحرير (المواد المناسبة من الجرائد الاجنبية وعلاوة بعض القطع الادبية وترتيب الجريدة المصرية بصفة عامة) ٢٣ على ان اهم ما يلاحظه الباحثون في تطوير رفاة للوقائع هو ان ازداد الاهتمام بالاخبار الداخلية واصبحت من موادها الرئيسية واصبحت اصول الجريدة بالعربية ولاول مرة بتاريخها بعدما كانت عبارة عن ترجمة للعربية عن اصول تركية ، على ان التطور الاكبر الذي احدثه رفاة بالوقائع ، كان نشوء المقال الصحفي على يديه الذي هدف منه الى تثقيف وتوعية القارئ بكل مجالات الفكر والثقافة والمعرفة فتراه يتحدث عن السياسة محاولا ان يكون لدى قارئه وعيا سياسيا كافيا لا تقا (والان يتسائلون عن احوال الدول داخلية او خارجية من جهة ادارتها وسياستها ومافيه من توليه وعزل ونحو ذلك وهذا ما يسمى بالبولتيقيا والمتكلم بشأن ذلك يقال له بولتيقيا فما كان بين الدول والملل - الامم ، يقال له بولتيقيا خارجية وما كان في دولة واحدة مما يتعلق بانتظامها وتديرها يقال له بولتيقيا داخلية) ٢٤ . وفي الوقائع حدثنا رفاة عن سلطات الدولة الثلاث وعن اشكال الحكم بين جمهورية وملكية دستورية مقيدة واخرى مطلقة وعرفنا بمصطلحات الارستقراطية والديمقراطية والمونارخية ، وبرعاية رفاة ازداد اهتمام الوقائع بالاخبار الخارجية على نحو ما فصل لنا عن ثورة البرتغال انذاك .

وسنة (١٨٧٠) انشئت مجلة روضة المدارس وقد اسند منشئها علي مبارك وزير المعارف انذاك ووزارته تتولى اصدارها والانفاق عليها ، اسند مهمة رئاسة تحريرها للشيخ رفاة اذ رآه اجدر من يتولى هذا المنصب وقال بذلك (لما كان حضرة رفاة بك المشار اليه بالبنان بين ارباب المعارف ، والمعترف بدرجة فضله الرفيعة كل انسان ، ناسب ان تكون هذه الصحيفة تحت نظارته لتتحلى من معلوماته بالدر الثمين) ٢٥ وصدر رفاة العدد الاول منها بمقال افتتاحي بين فيه هدفها (بحيث تكون فيها الفوائد

وبحاشيته وعصفت بهم ، فالملك شارل العاشر خرق القانون والدستور بان (اظهر عدة اوامر منها النهي عن ان يظهر انسان رايه وان يكتبه او يطبعه بشروط معينة خصوصا للكازيطات اليومية فلا يظهر منها الا ما يريد اظهاره مع ان ذلك ليس حق الملك وحده، فكان لا يمكنه عمله الا بقانون والقانون لا يصنع الا باجماع اراء ثلاثة ، راي الملك وديوان البير - مجلس الشيوخ، وديوان رسل المعاملات - مجلس النواب ، فصنع وحده ما لا ينفذ) ١٧ . فالملك باصداره هذه الاوامر انتهك القانون والدستور الذي نص على حرية الراي والتعبير والصحافة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اصدر اوامره الباغية هذه دون موافقة ممثلي الشعب في السلطة التشريعية ، مما يدل على مدى تأصل الروح الديمقراطية في فكر رفاة ، ونتيجة لهذه الاوامر الجائرة (اخذ الناس في الحركة بقرب المحل المسمى بالرويال يعني السراية السلطانية ، وظهر الغم على وجوه الناس وكان هذا يوم ٢٦ يوليه ويوم ٢٧ منه لم تظهر غالب كازيطات الحرية - المناصرة لفكرة الديمقراطية ، لعدم رضائها بالشروط فلذلك بلغت الاوامر جميع الناس وحصلت حركة عظيمة بعدم ظهور الكازيطات التي من عاداتها انها لا تفتقر عن الظهور الالمهم عظيم ، فاغلقت الورشات والمعامل والمدارس ، وظهر بعض كازيطات الحرية آمرة بعصيان الملك والخروج والخروج عن طاعته) ١٨ . وهكذا كانت عاقبة هذه الاوامر وخيمة على شارل العاشر اذ كانت عاقبتها (خروجهم عليه واخراجهم له من بلادهم معزولا) ١٩ . على ان لرفاعة رايها سلبيا يتحامل فيه على الصحافة والصحفيين الشيء الكثير الكثير فيقول (ولا يوجد في الدنيا اكذب من الجرنالات خصوصا عند الفرنسيين ز ، وبالجملة فكتاب الجرنو اسوا حالا من الشعراء عند تحاملهم او محبتهم) ٢٠ ، لكن لانسى ان رفاة عرف الصحافة بباريس اكبر معقل للغرب الراسمالي وصحافتها يملكها القطاع الخاص ، وصحافة القطاع الخاص بمعظمها ، كما عرفناه بالخمسينات في سوريا وكما عرفناها بلبنان ، صحافة غير نزيهة لاتتورع عن اساليب التشهير والابتزاز وهي صحافة (قبض) تبيع نفسها لمن يدفع اكثر لهذا لانلوم رفاة على رايه السابق .

الجانب العملي من رسالة رفاة :

سنة (١٨٤١) اتيح لرفاعة ان يعمل في ميدان الصحافة وان يطبق المناهج الغربية الحديثة في فن الصحافة حيث اسند اليه بهذا العام محمد علي مهمة تحرير الوقائع ، وكانت قبله سجلا للاخبار الحكومية

ومتحليا بالموضوعية والصدق والانصاف ، ومستهديا بالثقافة الرشيدة .

وليس النقد الادبي في مفهوم مندور بلاغة عقيمة تتحرى الصياغة اللفظية الجامدة ، وتفترض التقسيمات الشكلية والمحسنات البديعية من جناس وتورية ، بل هو بحث ما يصدر عن عفوية الاداء ومزاولة الفن الصحيح الذي يستهدف الصياغة الجمالية ، ومن هذه النظرة الصائبة انطلق ليحد من تأثير كل من قدامة بن جعفر وابي هلال العسكري على الادب العربي ، وسجل عليهما تبعة جفاف ينابيع الادب ، وضياح الاحاسيس والافكار منه ، وغلبة التكلف واللفظية .

وخلاف ذلك فقد نوه بفضل الحسين بن بشر الامدي وشهد له بمنهجيته وموضوعيته ، وقد سبقه الى المقارنة بين بيت شعري واخر ، ومعنى وغيره ، واكشفه الرائع الخطير لاهمية الصياغة في الادب ، اذ يقول الامدي : « ان حسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد . ويوجد مندور شبيها قويا بين هذا القول وراى معظم نقاد اوروبا اليوم الذين يرون ان امر المعاني في الشعر ثانوي بالنسبة الى الصناعة .

ثلاث مراحل : مرحلة النقد التأثري ، مرحلة النقد الوصفي التحليلي ، ومرحلة النقد الايديولوجي الملتزم بالدفاع عن قيم الحق والعدالة والخير والسعادة ، وخاض في سبيل مبادئه واراته معارك عنيفة مع كثيرين من الكتاب ، امثال العقاد ، وزكي نجيب محمود ، ورشاد رشدي ، ومحمد احمد خلف الله .

وكان الباعث على خوض المعارك الادبية مع العقاد وزكي نجيب محمود ومحمد احمد خلف الله ، ان اولئك الثلاثة خالفوا الدكتور مندور في توكيده على اهمية الذوق وفائدته ، في تفسير الادب وفهم نصوصه ، وجوزوا امكان اخضاع الدراسة الادبية للنظريات والاستنتاجات العلمية وتطبيقاتها ، بديل اعتبار النقد شيئا مستقلا عن كل علم اخر ، والاقتصار منه على تحكيم الذوق . وقد رد صاحب النقد المنهجي على مخالفيه ومناظريه بأن النقد التأثري هو الاساس الذي يجب ان يقوم عليه كل نقد سليم ، واننا لا يمكن ان ندرك القيم الجمالية في الادب بأي تحليل موضوعي ، ولا بأس من تحلي النقد بالروح العلمية من امعان الملاحظة والاخلاص والصدق وعدم المبادرة للتصديق الا بعد الاشتياق وطول المراس ، وحسبنا هنا ان المعرفة العلمية هي التي ينبغي ان نشد لا التطبيق الالي لمقولات وقواعد سابقة نتحرى عنها في النص المقروء .

* * *

* * *

وعبر هذه المعارك المحتدمة عرف مندور قراء بالمصطلحات النقدية ، ونوه بمن انطبع نتاجهم الادبي والفني بخصائصها وميزاتها ، امثال : الواقعية والرمزية والرومانسية والطبيعية والسريالية ، وهلل للشع المهموس في ادب المهجر ، ووجد فيه السهولة والبساطة والجمال والعدوبة ، وفضله على الشع الخطابي التقليدي المحتفل بالمعاني الضخمة والتراكيب القوية ، مما لانستدل معه على الصدق وصحة التجربة الشعرية بالضرورة :

ومن مؤلفات مندور « في الميزان الجديد » و « نماذج بشرية » و « قضايا في ادبنا الحديث » ، و « الشعر المصري بعد شوقي » و « الادب وفنونه » و « مسرح توفيق الحكيم » و « في الادب والنقد » وكثير غيرها ، ما عدا ترجماته العديدة عن الادب الفرنسي ككتاب « دفاع عن الادب » لجورج ديهاميل « ومنهج البحث الادبي » للانسون .

جاز صاحب « الميزان الجديد » في عمله النقدي

ترانا جاهدين الى نقل الثقافة الغربية ان كنا نريد نهضة حقيقية ، وما النهضة الا نوع من الحياة لا افكار تردد او نظريات تسرد .

* * *

وشبه هذا ما كتبه حول احدي المجاميع القصصية في تلك المرحلة : « الاصلة ليست في الاغراب ولا في تسمية الاشياء بغير اسمائها ، ولا في تضخيم التوافه ، ولا في التكلف الثقيل المعيب ، انما الاصلة في النفس وموسيقاها ، الاصلة في الطبع واسترساله .

ومن المفارقات الطريفة في حياة محمد مندور ، انه في الوقت الذي استهدفه معارضوه من الادباء والنقاد بتهمة عزل الادب عن الحياة وعدم وضعه في خدمة الحياة الراهنة ، مع اساءة فهم مراده من الدعوة لتوسيع افق الفكر وارهاف الحس ، كان هو قد اثر الاستقالة من الجامعة ، ليشارك في الحياة العامة ، مشاركة فعالة ، فبرز مناضلا ثوريا وكاتباً تقديمياً ومدافعاً عن العدالة الاجتماعية وتعرض للحبس والاضطهاد غير مرة ، وكان من الطبيعي ان يتطور اتجاهه التقدمي فيغدو اكثر اهتماماً بالمضمون الانساني والقضايا الاجتماعية دون تفريط بالقيم والجمالية .

وقد انتهى محمد مندور الى الايمان بالاشتراكية العملية ، ومذهبها الفني في الادب : الواقعية الاشتراكية . وبدأ يبشر بالواقعية الاشتراكية ، منطلقاً من مفهومه الخاص لها . وانعكس ذلك في اعماله النقدية والادبية الاخيرة ، مثلما انعكس ذلك في حياته ، منخرطاً في التنظيم السياسي للاتحاد الاشتراكي (الذي كان يؤمن بوحدة الاشتراكية العلمية وتعدد الطرق لتحقيقها والوصل اليها) ، ورئيساً لتحرير مجلة (الشرق) التي كانت تنشر مختارات من الادب السوفيتي والثقافة السوفيتية . وقد انعكس ايمانه بالاشتراكية على نقده في الاونة الاخيرة ، فصار يدعو الى النقد الايديولوجي العلمي الاشتراكي منطلقاً من اجتهاداته الخاصة .

عليك مني السلام
يا ارض اجداددي

فيك طاب المقام
وطاب انشادي

عشقت فيك السمر
وبهجة النادي

عشقت ضوء القمر
والكوكب الهادي

والليل لما اعتكر
والنهر والوادي

والفجر لما انتشر
بارض اجداددي

اهوى عيون العسل
اهوى سواقبها

اهوى ثلوج الجبل
ذابت لاليها

سالت كدمع القل
سبحان مجريها

ضاعت كرمز الامل
بارض اجداددي

ويعقب ناقدنا المجدد مندور على هذا الشعر بقوله : « انا اخشى ان يكون مصدر مافي اشعارنا من غلظ ضعفا في الحاسة الفنية ، حاسة الاحساس بالجمال ، ثم نقصاً في القدرة الحقيقية على الحب بمعناه الصحيح ، ويزيد هذا الخوف في نفسي وضوحاً ما لاحظته من ان شعبنا لا يفتن الى شيء اسمه جمال في شجرة او نهر ، الاحساس بالجمال ذاته لا بد ان يوقظه العلم ، ومن هنا

صحوه الضمير تواتي فتانا ، بعد فوات الاوان ، فيؤنبه ضميره بعد سماعه نبأ انتحارها ، وكأن النزعة الانسانية لا تصحو من سباتها الا ابان حدوث كارثة ! .

قصة (الورقة المفقودة) :

تختلف هذه القصة عن جميع قصص المجموعة اذ تقترب بتكنيكها الفني من الواقعية ، حيث تلج عالم (الباص) ، أو (الاتوبيس) . هذا العالم الذي يستهوى أقلام العديد من كتاب القصة القصيرة . فمن داخل (الباص) ، يستطيع القاص الفوص في أعماق المجتمع ، والتعرف على شرائحه ، وعرض مشاكله ، التي تمثل مشاكل انساننا المطحون في عالمنا الوار ، والمتخم بالهموم والتناقضات .

القصة عن شاب حديث التخرج ، كان من المفروض ان يتسلم عمله مدرسا ، لكن اوراقه نقصت ورقة واحدة . يصعد (الباص) عائداً الى امه ، منحشراً وسط الزحام ، مستشعرا ضالته ، وسط هذا الموكب البشري .. ويصور القاص بأداته الفنية - أو آله التصويرية - واقع الحياة داخل (الباص) . ويكفي مثلاً لهذا التصوير الواقعي ، ان نقرأ معا هذه العبارات التي تفوهت بها السنة راكبي (الباص) ، بما تحمله من دلالات ، وبما ترسمه من صور ساخرة لمجتمع (الباص) : نابضة بالحركة ، وتضارب الاراء ، ولاذع الكلمات ...

- نحن اسماك معلبة؟! .

- لم هذا التأخير؟ .

- اف .. ماهذه الزحمة المقرفة؟ .

- هل نحن بهائم؟ .

- من لم يعجبه ، فلينزول وياخذ تاكسي .

- لسنا بحاجة الى فلاسفة في هذا الوقت .

- صلوا على النبي يا اخوان . اخزوا الشيطان ..

- اف .. ماهذا؟ . ابتعد عني يا قليل الادب .

- هل انا مسئول عنك ، عندما تحشرين نفسك في هذا الزحام ، بين افخاذ الرجال ! .

- شوف .. ستات هذا الزمان .

- كل الحق على (الداية) .

خاتمة :

ان نادر السباعي حريص كل الحرص على ابراز مساويء واقعنا ، الذي يتكالب فيه الناس على جمع المال ، فطغت المادة على غيرها من القيم والاخلاقيات . وحريص على ان يتسامى بأسلوبه ، فيقترب من دائرة الشعر ، بجمله المركزة الموحية ، وكلماته البسيطة المعبرة ..

واحب ان اوجز ملاحظاتي حول القمص في اثنتين :

الاولى : ان يتفاضى عن تضمين القصة آراءه وخواطره ، ويعطى لشخصه الفرصة للتعبير من خلال الحدث والسلوك والوصف ، ذلك أجدى وانفع لفنه القصصي ، ولقيمة هذا الفن الذاتية .

والثانية : ان قصصه في حاجة الى تعميق مفهوم الفكرة ، أو قل هي في حاجة الى مزيد من النضج ، ويتأتى هذا بالابتعاد عن الوصف الشامل ، أو التعبير العام ، والدخول في دقائق وخصوصيات حيوات الشخص ، مع الحفاظ على الخط الدرامي النامي للقصة وخدمته .

ومادامت (اقنعة من زجاج) هي مجموعت القصصية الاولى . فاننا نأمل ان نقرأ مجموعاته التالية حيث تتحدد اكثر معالم شخصية اديبنا القاص (نادر السباعي) .

حسني سيد لبيب

ديوان الولادة الجديدة والصحو للشاعر أحمد دوغان دراسة: محمد رصاص - وهران

انها ملتزمة شكلا ومضمونا ، وانها لم تأت تبعا لاهواء شخصية خاصة ، ولكن تبعا لما يجب ان يسير عليه الخط السياسي العربي واتجاهاته الحقيقة التي تجمع ولا تفرق ، توحد ولا تشتت ، تؤمن بحق الشعوب وتقرير مصيرها ، وترفض الظلم والاستبداد .. تكفر بالهيمنة وجبروتها ، وتمزق غشاوة واقنعة الاستعمار الجديد والامبريالية .

بداية بدىء ، ابنه بانني لست بصدد دراسة مفصلة لشعر الشاعر ، فان ذلك ما لايمكن له ان يتم في هذه الدراسة المقتضبة العابرة ، وانما مجاله التفصيل المشفوع بالدلائل والبراهين اللاحبة الواضحة التي يجب ان تقنع القارئ .. ولكنني ساقصر على بعض الخطوات الفكرية التي لاتخلو من نقد دون الاغراق فيه .. باختصار ، ستكون هذه الدراسة بمثابة مداعبة للعبارة والجمل الشعرية ، ورحلة الى عالم النغم .

ولكي تسهل الدراسة ، لامندوحة من تسليط الضوء على شعر الشاعر في ديوانه الجديد ، من خلال محاور ثلاثة نراها اجدر من غيرها بالاهتمام ، وهي :

١ - انشغال الشاعر بهموم الانسان العربي .

ذلكم هو اسم الديوان الجديد الذي صدر للشاعر احمد دوغان من سوريا الشقيقة* ، بعد دواوينه :

١ - ساهر يرعى النجوم - ١٩٧٢ .

٢ - الخروج من كهف الرماد (شعر مشترك) ١٩٧٤

٣ - سمفونية تشرين - ١٩٧٥ .

هذا فضلا عن دواوين ثلاثة له ماتبرح مخطوطة هي :

١ - الابحار والفربة .

٢ - تراتيل للبراعم .

٣ - اوراق من دفتر الفزل .

ان في طبيعة ما يلاحظ على شعر الشاعر ، هو انشغاله بهموم الانسان العربي وما يعكر صفوه ويقض مضجعه . فقد اشتملت القصائد التي وردت في الديوان على جانب كبير من هذا ، اصف الى ذلك انه يتميز بالصدق ، لذلك لانفسيه يجنح الى الرمزية الشفافة الا في مواطن قليلة وهذا بديهي بالنسبة لشاعر لا يريد ان يموه الحقائق او يتزلف قربي الى اشخاص ...

ومن الاشياء المهمة في « الولادة الجديدة » ، هي

* طبع بمساعدة اتحاد الكتاب العرب بدمشق - ط ١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م . يقع الديوان في ثلاث وستين صفحة من

والضراء اشياء نشترك فيها ، هي التي تجعل وطننا العربي الكبير حقيقة لاخيالا ، وواقعا لامستحيلا .

وإذا كان الانسان عادة يتأثر بالنكبات العظام ، وينهزم للكوارث الضخام ، فانه سرعان ما ينهض من كبوته ، وينتصب قويا صارخا في بنات الدهر : هانذا! . وهذا ما يوميء اليه الشاعر في قوله من القصيدة نفسها :

لأننا نروض الآلام في ايامنا
ونمضغ الصبار في حلوقنا
ونعصر الدفلى من الزمان
ونترع الكؤوس في شراة . .
المشتاق للكروم
كطفلة تحب ثدى امها الرؤوم
من اجل ان نبقى
وتبقى الكبرياء .

حسب الانسان تعودا على الآلام والاحزان ان يانفها ، ويانس بها ، فتغدو لديه جزءا من ايامه . . ان بعض الناس يرى ان الحياة الخالية من اللذة والمرح لاقيمة لها ، ولكننا كيف نفصل عمر الانسان عن بعضه بعضا ، او نجزئه تجزيئات مختلفة ؟ . . ثم اذا نحن تناسينا الآلام ، فاننا لن نظفر بالسعادة ابدا . . والا ، كيف يتناسى العرب مآسيهم واحنهم المختلفة مع العدو الصهيوني والرجعية العربية الخائنة ، ومؤازرة الامبريالية للظلم والبغى في العالم ؟ . . ان الذي ينسى كل هذا لهو ارعن او احمق ، قد فقد الكرامة الانسانية ، وانضاف الى حثالة البشرية !

ان استعمال لفظتي « الصبار » و « الدفلى » ، ثم وصفهما بان المرء يتوق اليهما في تطلع كبير ، كما يقبل الطفل على ثدى امه بنهم وعناق لامثيل لهما . ان هذا الوصف ليس جزافا ، ولكن « من اجل ان نبقى ، وتبقى الكبرياء » . . فالعربي ليس مخيرا . واذا كان لامناص من الموت ، فلماذا نموت تحت حبل المشنقة ، ونحن خانعون مستكينون ذليلون ؟ . . ان البهيمة تقاوم بكل ما اوتيت من قوة ، حين تدلف منها السكين ، فما بال الانسان يسلم عنقه للذبح ، واطرافه للرصف والغل من غير ان يقوم باية حركة !

ويقول الشاعر في قصيدة : « قراءة في ابجدية حطب » :

واطل على الفلعة انظر عبر رياح
الامس

ب - ذكريات مختلفة وتأملات .

ج - عشق وحب .

وبعد ذلك نصل الى كلمة نقدية ، وهي النقطة الاخيرة في هذه الدراسة .

1 - انشغال الشاعر بهوم الانسان العربي :

ان الديوان كله يكاد يمشي على وتيرة واحدة ، هي الاهتزازات التي تحرك كيان الامة العربية ، وتقتلع جذورها المهترئة المتآكلة ، لتلقى بها في اعماق المحيطات ، او تنشىء على انقاضها بنيانا رصينا متينا لاتزيحه العواصف ولا الاعاصير ، ولا تقلقه الامطار ولا السيول الجارفة . . ولا غرو ، فالشاعر هو نبراس امته ، وهو هاديا الى الطريق الحق حين يكون مستقيما في اتجاهه ، ذا شخصية غير مهزوزة . .

ان العربي المخلص لعروبتة ، الوفي لمبادئ امته ، هو الذي لايمكن له ان يتلهى بغير مايدور بخلده ، او يهيمن على افكاره ، فلا ينشغل من ثمة بالامور الهامشية ويتناسى القضية الاساسية ، فيتغزل ، ويتزلف بالمدح والاطراء المبالغ فيهما . والشاعر في ديوانه هذا لم يك من هذا الصنف الذي المحنا اليه ، وانما كان يتغنى بالمقدرة العربية في الميادين كلها . . يتناغى بالعزم الفولاذي الذي يتوفر عليه كل عربي ، وبالاباء والشيم العربية كما يقول الشاعر في قصيدة : « مواسم الاحزان » :

انا وانت نحن في
محاوور الاهداف والمقاومة
ستنزف الدماء من افكارنا
لاننا . . لاننا
لانقبل المساومة . .

ان مثل هذه الابيات كفيلة بان تضع الشاعر في زمرة المدينين عن وطنهم ، الراضين لكل انواع الاهانة والمذلة ، وطاظة الرؤوس . . فالقوى مهما كانت ، لاتمس جوهر الانسان ، والبقي مهما تعاضم ، لايطفو على سطح العدالة ، وتغطفية الحق البالغ .

ان استعمال الضمائر المنفصلة « انا » ، « انت » ، « نحن » يفيد ان الشاعر لايريد ان تقتصر المقاومة على جزء معين ، او على جزء واحد من اجزاء الوطن العربي الكبير ، وانما التشارك في الآلام ، والاقتناع بان المصير الواحد لامتنا يجمعنا ، وان الآمال والاماني والسراء

وتجيد نشيد الحرية .
تنطلق الوحدة شامخة الرأس ابية .

نكتفي بهذه الشذرات من القصائد التي تعبر عن الافكار التي اوردها الشاعر بشأن الوطنية والعروبة ، والثورة على المستعمر بشكلية القدم والجديد ، لننتقل الى النقطة الثانية من هذه الدراسة :

ب - ذكريات مختلفة وتاملات :

ان الحديث عن ايام الصبا والقصف والوهو ، ليس حديثا عاديا ولا عابرا ، ولكنه ذو شجون مختلفة ، ومسالك متنوعة ، لا ينتهي الانسان من آخر اواها ، حتى يشرع في مفتتح ثانيها . . من منا ليس له ما يحبه عن ايامه الفر الغوالي ؟ . والشاعر اكثر احساسا واصدق تعبيراً من غيره ، لان ذاكرته تظل محفورة بالماضي والافراح ، حتى اذا رام التعبير عنها ، كان صدوقا مبدعا ، وذلك ما لم يشذ عنه الشاعر احمد دوغان ، وان كان يختلف في بعض المناحي عن غيره ، حيث ان تأملاته لم ترد متحدثة عن ماض شقي او سعيد ، ولا عن حب ناجح او مخفق وحسب ، ولكن قد ورد الى جانب ذلك بعض التأملات الثورية ، كما سيتضح في حينه . .

ولنبدا بالذكريات ، وليكن ذلك بقصيدة « خماسية يقول الشاعر في القصيدة نفسياً :

ياسيف الامس اراك اتيت من القدس .

لكنك محزون .

يحملك الفارس في حطين .

فتعود اليك القوة . . تجتاح ملوك الطاعون .

ان الشاعر يريد ان يقضي على دسائس الخيانة واوكار الفساد في كل مكان ، فالوطن لن يكون وطننا سالما من الامراض والرزائل ، قويا متينا حصينا منيعا ، ما لم يكن قد حطم كل مظاهر الدنس ، والتعلق الى الى الدول الرجعية « فتعود اليك القوة . . تجتاح ملوك الطاعون » .

ثم يأمل الشاعر في الافضل ، ويتمنى الاحسن ، لان ثقته في رجال الوطن كبيرة ، والمارد العربي لا بد ان يعود من جديد كما كان . وعندئذ ، لن يكون هناك غير وحدة عربية شاملة ، بعد ما تساح الدماء من جديد ، وتعم التضحية كل جزء من اجزاء هذا الوطن العربي الكبير ، من المحيط الى الخليج :

فارى الروم . . . الفرس . . . تتار الشرق
الكل غزاة .
وتظل المذنة تكبر . .

طبيعي ان الشاعر لا يريد في هذه الايام الاستعمار القديم الذي حاول ان يتسلط بجبروته وطغيانه على قلعة حلب ، فما افلح . . .

ويقول في المقطع التالي :

جهلت ذاكرتي

هل قرأت عن سيف الدولة والمنتبي .

هل عرف الحمدانيون حصارا طرواديا . . . ؟

هل كان حزيران يلوح بالمهماز ؟ . . .

يشير اليهم بالنكسة .

ينظر سيف الدولة . يسقط مغشيا .

ويفر الاخر . . . يلقي في « مصر » رحالة ؟ !!

ان هذه القلعة المنيعة ظلت طوال التاريخ القديم حصنا منيعا للمجد والاباء العربيين . لذلك لم يفلح الروم ولا غير الروم في الهناء بالعيش فيها ، بعد ان كان لسيف الدولة الكلمة النهائية ، وللمجد العربي الظفر والغلبة . .

ويقول في قصيدة « اللحن القادم من اعماق الصحراء » :

وطني . . واخذتك ملء يدي .

وقراتك حبا في عيني .

علمت فؤادي كيف يكون الحب .

ان كلمة « الوطن » طيبة الذكر ، رائعة اللفظ ، سامية المعنى . . كل من في الوجود يحب وطنه ، وكل من خلقه الله على وجه البسيطة يمشي في مناكبها ، يعمل على ان يكون له وطن . حتى الهوام تهيم حبا وتفترق الى اذقانها في الصباية باجحارها وكهوفها المظلمة ، لدرجة انها تؤثر الحرق والاختناق دخانا من غير ان تقبل ترك المأوى الاول . . . بل ان كل مافي الوطن ومن فيه حبيب الى النفس ، غال على القلب ، يعز على المرء ان يسلم فيه بسهولة ، هذا ان كان الوطن محررا سعيدا ، يهنأ باطياب الحياة ، ويحيا في سعادة تامة . . فكيف يكون حال وطن قد فقد نعمة الحرية ، وسلب كرامة المحتدم ، كما يحدث بالنسبة لاشقائنا الفلسطينيين ، وبعض دول المشرق والمغرب العربيين ؟

يرسل الوانا قزحية .

يتكلم لغة عربية .

حتى تتوحد ياوطني ،

لا تظهر جلية في هذا المقطع الذي اوردناه ، وانما في المقاطع التالية للقصيد ، حين يقول :

**وانني ارافق الشموس في رحيلها
مودعا زماننا المقهور .
مخلفا ورائي الرعود .**

هي اذن ، مرافقات ، ومصاحبات للشاعر مع الطبيعة التي انغمس فيها ، فقدت لديه شحنة قوية ، تمده بالمعونة والقوة ، وتجذبه نحوها فيهم بها صباغة ، ويتقد بها اوارا الى درجة التشبث ، خشية الافلات ، عليها من بين يديه ، وما ذلك الا لان الشمس رمز للقوة والتعظيم ، وهي بالتالي تعبير عن قوة خارقة ، لا يمكن لها ان تخضع لارادة الطفاة او البغاة ، وبذلك يسمو الشاعر الى العلا ، ويذر وراءه الاهانة والاستكانة . وفي الآن ذاته ، يحدث دوبا وانفجارات عدة ، بما يخلفه وراءه من صواعق محرقة ، وشهب نارية ماحقة . . .

ويقول في القصيدة نفسها :

**حنجرتي تصعد الولادة الجديدة .
ورحلتني تستقبل الضياء .
حقيقة اقولها :
ولادة الانسان في الحياة . .
يختارها الجنين !! . .**

وفي هذه الابيات الاخيرة ، نشعر بنوع من الغموض يسود فكرتها الاجمالية ، وذلك بسبب مبالغة الشاعر في تأملاته ، واضفاء معان اكبر على الالفاظ التي يشعر القارئ انها تنوء بحملها ، وتحاول الافلات من المضايقات التي كادت تخنقها :

« حنجرتي تصعد الولادة الجديدة »

كما ان خاتمة القصيدة يهيمن عليها التسليم بالقدر ، وان الانسان لا ارادة له في خلقه ولا في صفاته . . فالتحديد الزماني والمكاني مرهون بما يختاره الجنين . . على ان هذا التسليم بالقدر ، اذا اخذ بمعنى اوسع ، تجلى ان الشاعر اراد به انه بداية لكل ما يحدث من انتفاضات وثورات ، ويتضح ذلك في ربط « الولادة الجديدة . . . ولادة الانسان » ببعضهما بعضا . . ثم ان هذه الولادة جاءت بعد زمجرة الرياح ، وقصف الرعود ، ووابل المطر . . وفي كل ذلك كنايةات لاتغرب عن بال اللبيب . . فالاستقلال لا يتحقق الا بعد مشقة وعسر ، لذلك يحق ان تكون الفرحة فيه عارمة ، والبسمة عريضة ، تماما كالولادة التي لاتتم الا بعد ان

**وتحرك شيء تحت رماد الصمت .
وانسل السيف بحد ناري .
يقدح شررا .**

الحلم والذاكرة « حيث يقول الشاعر :

**هذه ذاكرتي تركز خلف الامنيات
تنظر السحب . . تفني للحياة .
تتهادى بين طوفان الرعاة .**

ان الشاعر في المقطع الاول من خماسيته هذه ، يحاول ان يعبر عما يختلج في ذهن الانسان عادة ، وعمما يعتمل بخلده باستمرار . . . فهو لايفتر عن التفكير في ذكريات الماضي ، حتى يجره هذا التخيل الى عالم آخر ابعده عنه بكثير كثير . . انه يطوى آلاف الكيلومترات في ثانية ، ويحيا ايامه الماضية في سرعة عجيبة ، كما ينصب من نفسه رئيسا وقائدا ، وقد يحاكم الآخرين لو يفخر عليهم ، لذلك يصف الشاعر هذه الذاكرة بانها « تركز خلف الامنيات » .

بيد ان الذاكرة مهما تحاول ان تذكر ، فانها بلاريب لاتزيد عن كونها لحظات تأمل ، ودقائق عابرة ، سرعان ماتفضحها الحقيقة ، وتزيل تخيلاتها اضواء الواقع التي لاترحم . . وحينئذ ، فقط ، تشعر ان ماتؤمله دون ان تعمل على تحقيقه بالجد ، وباخراجه الى الواقع ، ما هو الاضباب ماض ، وهذا ما يدركه الشاعر في مختتم الخماسية ، حيث يقول عنها :

**قد توارت خلف اكوام الغيوم
هذه ذاكرتي تهوى النجوم**

.....

تكفهر النفس حزنا

يسقط الثلج غزيرا في فصول الذكريات .

وبعد ان رافقنا الشاعر في ذكرياته الحاملة ، نقوم باطلالة على صفحة تأملاته ، فنجده يقول في قصيدة « السفر وصرخة الرياح » :

**مسافر تمدني الرياح بالمغامرة
وترقص الشمس في هواكب الرحيل
تعاقب الغروب والاصيل
وترفض الاحلام في . .
معاقل المحاصرة ! . .**

انها لحظات تأملية ، شبيهة بتلك الوقفة التي وقفها (فيكتور هيجو) و خليل مطران ، وهما يرقبان الشمس تميل الى العرج . . والواقع ان تأملات الشاعر الرائعة

وعذاب الضعاف ، كل أولئك يقود الى نهاية لاتحمد عقباه بالنسبة للطاغي .. ويموت بعض من جيل أو جيل كله ، ولكن يخلفه آخر في تسلم المشعل ، فيدرك مبتغاه ، ويصل الى هدفه ، فالعبرات والظلام شيئا لا يمكن لهما أن يستمرا ، أو يقفا حائلا دون الزحف الكبير . والسيل الجارف حين يشتد سيلانه ، يذهب بكل ما يلفيه في طريقه .. وهذه كلها رموز لقيام ثورة ما وما تخلفه عادة من مأس وآلام . ولكن النتيجة تكون أخيرا في صالح الشعوب ، والانتصار يتحقق في النهاية للمظلومين المستضعفين .

ج - عشق وحب :

الحب : تلك الكلمة الازلية الخالدة . من ذا الذي لم يتغن بها ؟ ومن الذي لم يطرب وتهتز معاطفها عندما يفلح يوما فيتنعم بسماعها ، ويلاحظ نتيجتها ، ويجني ثمارها .. ان اجمل ما في الحب ، هو ان لاسلطة للبشر عليه كالأشياء المادية الاخرى .. انه العالم العلوي الذي يتوق اليه المذب ، ويحن الى العيش فيه البئيس الشقي ، ولا يبغى به الذي يحيا فيه عوضا أو بدلا ، فيظل متشبثا به ، عاضا عليه بالنواجذ . وشاعرنا أحمد دوغان لم يك بدعا من البشر عامة والشعراء خاصة ، حيث نجده قد تحدث عن وجهة نظره في الحب ، يقول في قصيدة « أنت يمامة صدري »

من يعرف أنك تحتملين هذا الانسان

.. ولا ياتيك الحزن

... واعلم نفسي كيف يكون زمان العشق

زمان القبل الودية

اتشهى ان احتضن الصالم عشقا

حبا ابديا ...!

ان فهم الشاعر للحب ، يتجاوز التقليد الذي طالما غرق في بحره كثيرون فهموا أنه مجرد توله بالمرأة ، وتوره من جسمها الشفاف اللطيف ، ولكنه حب كبير يسع الصالم كله بلا استثناء ... ولا غروفي ذلك ، طالما عرفنا أن الحب يكون واسع الصدر ، رحب الافق ، لا يفرق بين هذا وذاك ، بل الحب عنده واحد ، وخاصة ان كان الامر يتعلق بالاطفال ، لذلك يقول :

اتمنى ان اغرق يوما

في احداق الاطفال

حتى اكتشف ماسر براءتهم ..!

يضني المرأة الاجهاد ، وينهكها التعب والالم ...

وهناك اشارة لامناص من التنويه بها ، وهي ان الشاعر حتى في تاملاته وذكرياته ، لا يريد ان يكون بعيدا عن الهموم الانسانية في الوطن العربي ، ولا يحب ان تكون تفكيراته مجرد تخمينات وهواجس شخصية لامعنى لها ، كما يحلم الانسان العادي او يفكر ، ولكن هو يريد ان تكون ايامه كلها مليئة بالتفكير الجاد الذي ينفع المجتمع ، ويجدي في النهوض بالحياة ، يقول في قصيدة « موانيء الاحلام » :

« .. واسال الفيوم والسماء

عن قصة الآلام والهموم

ولهفتي اغائة النداء ..! »

هدف الشاعر اذن ، هو الفوث ، والاستجابة للنداء ، المكومين من قساوة الطفيان ، والمهانين بخسف الاستعمار ... وسرعان ماتشده الحيرة ، وتعجزه الحيلة ، على الرغم من استعدادده للتضحية ، واسترخاصه الموت في سبيل أن يحيا الانسان العربي حياة أغنى ، فان امانيه لاتحقق وآماله تتلاشى بسرعة عجيبة خارقة :

وتعجز الامطار عن اجابتي

تحولت عن وجهتي

يظلمها الكسوف في محاجر الانواء

والسوم .

على أن عدم الاستجابة لاينال من عزيمة الشاعر ولا من قوته ، لذلك ينظر الى الامطار نظرة تفاؤلية ، طالما قد عقببت الجو بأريج قطراتها ، وطبعت عليه مسحة من بياضها . كما ان الثلج فيها قد عانق النقاء، وقبل البراءة . وذلك من شأنه أن يعوضه عمالحقه من حزن وكمد سابقين :

وتقطع الاجواء في وجوم

لكنها تعمم الوجود بالبياض

وترفض السواد

فالثلج في موانيء الطيوف

يقبل البراءة

ويعشق النقاء

وفي مختتم القصيدة نلفي الشاعر وقد افتتح بان التفكير في التغيير ، والضيق بالظلم ، يؤديان حتما الى الخلاص . فدموع الايامى، وبكاء اليتامى، والم الشيوخ،

• دون أن يتجرا على كشف ذلك علنا . والشاعر يعبر عن ذلك اصدق تعبير في الابيات التالية ، وادعها للقارئ يجلى فيها الظرف والفكر من غير أن افسدها عليه بتعليقي :

افتح عيني ارنو اليك ..
فتاتي الي الفيوم ،
وتأتين غيثا .. كما كنت اهوى .
ولكن بلا موعد .
حسب عفو القضاء .
... واحلم انك قربي
تغنين لي والدموع غزيرة
تقولين لي ماكفاني العذاب المعنى
كفتني الهموم المريرة ..!
فاين المواعيد اين هواك ؟؟ ..

ويسجل الشاعر اللقاءات الاولى للشطحات الغرامية التي كثيرا ما تبدأ بالاطلالة من الشرفات على أوجه المحبين ، ويتجاوز ذلك عادة الى بعض الايماءات بالراس ، أو الاشارات الخفيفة باليد :

تصور ، وانت تمر وتلقي السلام .
وشرفة عهدي ترد الجواب هيام
أحقا نسيت ، وكان هواي طلا .؟؟

إنها الاسئلة المحيرة التي تلقى عادة دون أن تظفر بجواب شاف فيضطر صاحبها الى سح الدموع معنويا أو واقعيًا ، ثم يستسلم الى القدر ، ويرضى بمحصوله الضئيل في عمره الطويل ، المليء بالمشاكل والعنت والاضنى :

فأصحو .. وتأتي الي المواعيد خضرا .
وانظر خلفي .. اعد السنين .
فأبكي .. وأبكي ..
ولا من شفاء

ان الشعراء المعاصرين ، لا يميلون عادة الى هذا الموضوع الازلي ، موضوع الحب والهيام ، لانه باتفاق جل النقاد ، قد قتل بحثا وفصل فيه القول ، واجتر فيه الحديث ، مما لم تعد معه نتيجة أن يمضي الشاعر المحدث في النسيج على منوال القدامى ، واقتناء آثارهم ... لذلك لم يقل شاعرنا أحمد دوغان أكثر من هذا الذي اشرت اليه في الحب

ونظرة الشاعر الى الحب الذي يتجسد في من يهوى ، يراه ، كما يراه الآخرون : ربيعا متجددا ، وفصلا مخضوضراً . فهو ينبوع الحياة ، وسر الوجود :

مهما كنت فانت ربيع
يتجدد في اوراقني ..
في ايامي ...

انها النهاية الرائعة الساحرة التي يرتاح اليها الخاطر ، ويحس بهما ونعيمها كل انسان له ذوق غير مريض ، واحساس شفاف برقة الجمال ... ويقول في قصيدة « موعدا كان مساء »

تعودين حسبي
تعودين فكري وروحي .
تعيشين نفسي ، صفائي ، وجرحي .
... كأنك في نبض قلبي .
كذلك في زمن الحب عمري .

أي شيء أجمل من ذكرى دافئة تعود على صاحبها فيحن الى ايامه الخوالي ، ويذكر سعادته السالفة ، فيحاول من ثمة أن يربط بين ماض ، سلف وبين حاضر معاش ؟! وكثيرا ما يقارن بين زمانيه ، فيتجلى له سخفه ، وتتضح أوهامه ، فيضحك من نفسه ، ولكن هذا الضحك الذي يشبه الهزؤ ، يجعله يتنسم أريجا عطرا من شجرة الذكريات المورقة أبدا في وليجته ، المحفورة في دخيلته ، حتى لكأنها في نبض قلبه ، وكأنها يوم أن كان متيما بها ، مشغوبا بجمالها . عمره كله ... والحديث عن الماضي السعيد ، وسرد الذكريات الجميلة من داب الشعراء جميعا ، وخصوصا الرومانسيين** منهم ، في هذا المضمار ، لذلك فان الشاعر يعيد قصة غرامه في قوله :

اقص عليك رواية ماض عرفنا هواه .
تقصين ... اسمع حلو الحديث .
ونجوى مناه .

ان الانسان كثيرا ما يحب حبا عابرا أو يتأثر تأثرا جزئيا أو كليا ، ويهفو فؤاده الى التي يهواها ، ولكن القدر يأبى الا أن يمنحه واحدة أخرى غير التي جنح اليها جناحه من قبل ... فيرضخ مكرها من غير أن ينسى من تفتحت عليها حناياه لأول مرة ، فيظل يغنى لها في سريرة نفسه ، وينشد لها في أعماق قلبه

والذاكرة وان كانت شيئاً مجازياً ، فقد حول الشاعر هذا المبهم الى وضوح ، انزله من العالم العلوي الى الارضي ، ليكون بذلك في متناول القارئ حتى يشركه في تفكيره وتصوراته .

ثم بعد ذلك يستعمل الافعال التي تدل على الحالية او الزمانية المتصلة باستقبال .

(تركض ... تنظر ... تفني ... تتهادى ... يتلاشى ... تصحو ... تنادي ...) .

فهذه الافعال تكسب القصيدة نفماً متحداً متصلاً لا يفصل بينه فاصل . وحسن استعمال الافعال عند الشاعر ، لا ينحصر في هذا القصيد وحده ، ولكن يتعداه الى قصيدة « موعداً كان مساء » :

(تعودين ... تعيشين ... تروح ... تجيء ... فساحياً ... اعدو ...)

اقص عليك رواية ماض عرفنا هواه تقصين .. اسمع حلو الحديث ونجوى مناه

ليس من الفضلة في الحديث ، ان اؤكد بان الشاعر مغرم بالافعال ، وشدة كلفه لم تحل دون حسن استعماله لها في مواطنها ، لتكون شديدة الالتصاق بحسه وفكره . انه يوظفها زمانياً ومكانياً ، وآنيا ومستقبلاً كما اسلفت القول . وفيما يلي نموذج آخر لذلك :

وتسقط بعض النجوم
وتهطل بعض الغيوم
وينتصب القوس لونا غريباً
كلون الفرخ

ويعلو .. يوازي ارتفاع قرح .
احدق فيه .. اعيد الرنو .. اراك .
تطوفين دنيا .. !
ادور مع القوس .. افنى .
فأسمع رعداً ..
أفتح عيني ارنو اليك ..
فتأتي الي الغيوم .
وتأتين غيثاً .. كما كنت اهوى .
ادور ، ادور ، واسقط مضنى .
يسود هواي العياء .

او الغزل ، وصرف اهتماماته نحو قضايا اخر شاملة واكثر اتصالاً بهواجس الانسان العربي وبالآلامه واحلامه .. :

كلمة نقدية

ان العيب الذي يوجه الى الشاعر المعاصر ، يكمن بالدرجة الاولى في الغموض الفكري والتصويري . واستطيع القول بكل اطمئنان ان الشاعر احمد دوغان شذ عن هذه القاعدة التي افسدت الشعر العربي اكثر مما اسلحته . فالرمزية او الصورة لاتعنيان البتة القلو المطلق . او الذهاب بعيداً الى ما وراء الواقع ، حتى يعسر على الاريب فهم مايقول هذا الشاعر او ذلك ...

وقضية الغموض في الشعر الحديث مجمع عليها ، ولم تشفع مزاعم هؤلاء ، في ان الشعر فن راق ، ولا بد للفكر من ان يرقى مثله حتى يكون متوازياً معه ... الهم ان شعر احمد دوغان ، كان في مجمله مفهوماً واضحاً ، واستطاع ان يجسم الصور او الرموز التي استخدمها مما يقوم دليلاً على انه متمكن من فنه ، ممسك بناصية شعره ، لان الابهام او الغموض يعود في واقع الامر الى غموض الفكرة وضحالتها في مخيلة شاعر ما .

وفيما يلي بعض الوقفات النقدية عند شعره ، لتتضح معالم هذه الدراسة اكثر .

١ - البنية الفنية

نريد بالبنية الفنية ما تعود النقاد ان يطلقوا عليه مذهب الشاعر الفني . ذلك ان اغلب قصائد هذا الديوان مجموعة واحدة متماسكة (انظر على سبيل المثال قصيدة : خماسية الحلم والذاكرة » فهذه على الرغم من ترقيماتها الداخلية التي لا اميل اليها ، على اساس ان الفن وحدة متماسكة لاتتجزأ فانها قد وردت على نغم واحد مسترسل . والملاحظ ان ترقيمات الشاعر جاءت لتوضح الاجزاء فحسب ، لان القصيدة عبارة عن خماسية .

٢ - الربط بالجملة المكررة

« هذه ذاكرتي » جملة تعريضية اشارية وانتباهية ..

وانما التلوين عند الشاعر صريح واضح ، تماما كما هو الحال بالقياس الى الرسام . وغني عن التفصيل ان نوضح ماتقوم به هذه الالوان من وظائف لاتنكر ، لانها مثل الجملة المكرورة ، تساعد على الفهم ، وتجسم الشيء امام ناظري القارئ فتقدمه له واضحا صريحا، مع ملاحظة ان لون الشاعر لا يكون واضحا مثل لون الرسام ، ولكنه يستشف من خلال الكلمات التي تدس بين جملة وأخرى ، كقول الشاعر :

(السحب ، الفيث ، الضياء ، النجوم ، الضباب ، الظلام ، الظلال ، الصبار ، الدفلى ، الكروم ، الثلج ، العناب نباتا برياً ، الشجر الطالع) .

ومما تجدر الاشارة اليه : ان بعض الالوان وردت صريحة مثل قوله :

– « السواد » : رمز لنهاية الانسان المحتومة ، وللحزن الذي يخيم على البائسين والكادحين من البشر .

– « الطلاء » : بمثابة الالوان المختلفة التي تضفي على البيوتات جمالا وفتنة .

– « المرايا » : بما تتوفر عليه من ضياء ثاقب ، وما تتمتع به من لمعان ، يستعملها الشاعر للخير ، والفرح ، والبهجة .

– « البياض » : للصفاء والنقاوة والطهر (كم استعمله الشاعر) .

– « الاخضر » : رمز للانعقاد والحرية والانطلاق اللون الاخضر يمنحني السير (ص ٥١) .

– « اللون الاحمر » : رمز للخوف والضغط والمنيا والقيد لكن اللون الاحمر يوقني (ص ٥١) .

هذا بالاضافة الى ميله لاستعمال رموز لعم الانسان ، على غرار جبران خليل جبران في تصورات

واحلم انك قربي .
تغنين لي ، والدموع غزيره .
تقولين لي ماكفاني العذاب المعنى .
كفتني الهموم المريرة .

ويمضي الشاعر في هذا القصيد ، موظفا افعالا لاغراض شتى :

(عرفتك .. يطل ... يحب ... تغيرت ...
رايت ... تغيب ... تنسى ... يصيب ... تصور ...
... تمر ... وتلقى ... ترد ... نسيت ...
فأصحو ... وتأتي ... وانظر ... أه اعد ...
فأبكي ... وأبكي) .

وفي قصيدة « في دروب الصباح » مثل آخر شاهد على ان الشاعر لايفارق توظيف الافعال :

(تعودت ... وكنت ... ما كنت ... رايت ...
تفص ... تعيش ... دخلت ... قرأت ... خرجت ...
... احب ... اسعى ... يخوض) .

والخلاصة ان اغلب قصائده مشحونة بمثل هذه الافعال الموحية كقصائد « حكاية العرافة » ، «مواسم الاحزان» ، « موانئ الاحلام » .

وهذا الكلف بالتوظيفات الزمانية المختلفة لقصيدة واحدة ، يذكرنا ببعض الشعراء الكلاسيكيين الممتازين ، كزهير بن أبي سلمى في بعض قصائده . (١)

٣ – لعبة الالوان

بعد القراءة المتأنية للديوان ، يتجلى بينا ان الشاعر استعمل أغلب الالوان المادية المألوفة بكل ما في الكلمة من معنى . والمراد بالالوان هنا ، ليس ما يحتال له الشعراء عادة من تلوين شعرهم امثال فقيد الشعر الجزائري المرحوم محمد العيد في قصيدة « الريف » (٢) او الامير عبد القادر في قصيدة « البدو والحضر » (٣) وغيرهما ،

١ – انظر على الاخضر قصيدة : (وغيث من الوسمي) والتي مطلعها :

صحا القاب عن سلمى واقصر باطله وعرى افراس الصبا ورواحله (ص ١٢٤) ديوانه – شرح نعلب – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٣٣٤ هـ – ١٩٦٩ م .

١ – مطلعها : أقم هنيئا فما في القلب موجدة ونم فريرا فما بالعين اراق

ديوانه – الشركة الوطنية الجزائرية للنشر والتوزيع – مطبعة البعث – قسنطينة ١٩٦٧ . (من ٥٦)

٢ – مطلعها : يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر . وعاذلا لحب البدو والقفر

انظر : ديوانه – ص ٤٤ – ٥٠ – شرح وتحقيق : د. مدوح حقي دار البقطة العربية – بيروت – ط عام ١٩٧٥ .

● « دراسة ديوان الولادة الجديدة والصحو » ●

– القافية : تتلون وتنوع تبعا للموقف ، وهي تجيء على الشكل التالي :

في قصيدة « موانئ الاحلام » . (٣٨ – ٤١) :
(اجابتي ، وجهتي . الضياء ، السماء . احبابنا .
عيوننا) .

ويقول في قصيدة « السفر وصرخة الرياح » (١٣) :
(الوانها ، رحيلها . احشائنا ، حلو قنا . السلام ،
الكلام . لا انتهاء ، في الفضاء) .

واكتفي بهذين المثليين من قصائد الديوان المختلفة ،
حيث وردت اغلب القوافي ثنائية ، مما يجزم بأن الشاعر
لا يصدر عن شعور مزيف ، ولكن عن احساس متمعن ،
وعن ادراك لقيمة دور القافية في التعبير عن الناحية
الجمالية والتعبيرية .

ولا نختم الحديث ، عن الناحية الفنية دون الاشارة
الى الوزن الذي اختاره الشاعر ، حيث كانت التفعيلة :
« مستفعلن » تقوم بتأدية دور نغمي هام ، يوضح جمال
التفعيلة ، ويبرز نبرات متصلة متواصلة : « مس » . . .
حيث تعبر عن البساطة المنسرحة والسعة كما ورد ذلك
في ايقاع (فاعلات) التي تكاثرت كثيرا في ديوان الشاعر ،
وهذا القصر وان كان يقيد القافية ، فانه من ناحية
ثانية ، يجعل النغم ماضيا على سياق واحد ، والرنة
المتواصلة غير مفصول بينها ، مما يحدث اهتزازات
رائعة لقراءة او سماع شعر الشاعر .

* * *

وبعد ، فاننا لم نحتفل بالدراسة الكاملة لشعر
الشاعر ، لنخرج ببيان شاف يوضح فن الشاعر ومذهبه
اكثر ، على اساس ان ذلك يتطلب المامة كلية بشعره
ووقفه اكثر تأنيا نصل معها في النهاية الى نتيجة نهائية
وواضحة اكثر . ذلك ان شعر الشاعر لا يمكن له ان
يدرس بناء على ديوان واحد ، ولكن من خلال مجموعته
الشعرية كلها .

املنا كبير ان نعود الى ذلك في فرصة اخرى ، يوم
تجتمع لدينا نتاجات الشاعر الغزيرة . والله مسن
وراء القصد .

وهران – الجزائر : محمد مرتاض

للخريف ، ويوسف غصوب في حديثه عن اوراق الخريف ،
اقرا قوله يعبر عن عمر الانسان :

وعمرنا مزاج كما الشجر

خريفه بلا زهر

ربيعه فلة جميلة

ولوحة مرسومة ..

يصدر عنها وجه القمر .

وصيفنا رمضاؤه مخيفة .

فيها الشرر .

كاننا في رحلة الفصول

كدمية مخادعة ...

على ان المحمود هو ان الشاعر لم يبالغ في استعمال
هذه الالوان ، حتى غدت مبتذلة ، ولكنه لجأ اليها عند
راى انها ضرورية لتوضيح فكرة ، او للايحاء بمعنى ما .

٤ – الصور الشعرية

ان الصورة في اغلب قصائد الشاعر ، تتحاشى
المنطقية – كما عبر عنها القدامى – او الذهنية بالمعنى
المعاصر . ولم يلجأ الشاعر لذلك الا في حالات جد نادرة ،
مما جعل شعره مستساغا ، ومعانيه واضحة جلية .
وهو بذلك يكذب الذين ضاقت آفاقهم من الشعراء ،
فلم يحسنوا التعبير عن خوالجهم واحاسيسهم المختلفة
بصورة جلية رائعة وحين يستفسرون عن هذا
الغموض يجيبون في سذاجة ، بأن الشعر فن طبقة
خاصة لا بد ان ترقى في فكرها حتى تصل الى قمة
التفكير عند الشاعر .

اننا لانريد ان نعيد ما قاله اكثر من ناقد لتسفيه
هذا المنطق الاعرج ، ونحب فقط ان نركز اهتمامنا على
فن الشاعر ، فنؤكد صادقين ، بأن صورته الشعرية
في معظمها غير مركبة .

– الجمل قصيرة : في غالبها ذات رنة خاصة ،
وهذا يومية الى ان الشاعر لا يريد ان يجشم القارئ
عقبة العناء في القراءة ، وحتى ينأى به عن تعسر الفهم
والتذوق ، وهو ما يفتقر الى مثله كثير من الشعراء
المعاصرين .

صخرة الضمير

قصة: محمد علي القرامي

تسللت في الظلام مسرعة تصطدم بالصخور تارة
أخرى دون أن يعيقها عائق للمضي في طريق وعر منحرج
لكي تبلغ « مسمار » الوصي على أولادها الأيتام عس
سوء حالهم ..

لم يظهر على مسمار اثر للعاطفة فلقد قابلها متجهم
الوجه فبعد أن ظن الوصاية لجلب له الوجاهة فلما لم
يجد غير المتاعب بدأ يتنصل منها ويفهم الارملة الثكلى
انه راغب في تحويل الوصاية لجهة أخرى ولكنها
واجبته ..

سيدي امنحنا قليلا من الدقيق والزيت هذه الليلة
وتقوم ببيع البقرة نهار غد وتتقاضى اتعابك .

خجل من رفض الطلبين معا ، فأعطاها الدقيق
واعتذر عن بيع البقرة ..

ورغم ذلك عادت المسكينة الى اطفالها فرحة
مسرورة لانها ستنقذ اطفالها من الجوع .

وكأنها لفرط سعادتها لم تعد تذكر المرحوم .

عادت الى بيتها لتشاهد مسرحية حزينة ابطالها
اطفال يتناومون وليس بهم نوم الا التظاهر بالشبع
ليريحوا الارملة من عذاب الامومة المجروحة .

* * *

نظام الكون لا يتغير لموت احد او حتى ميلاده ..
هذه حقيقة ظلت تخفق في صدر الكون منذ نشأت
الدينا .

ولقد ادركت « وضحي » انها اخطأت حين ظنت ذلك
عندما توفي زوجها .. اية؟! .. ها هم اطفال القرية
يمرحون في ضوء القمر ، وكذلك كان أولادها عندما كانوا
يستظلون بظل المرحوم الوارف ..

لقد تغيرت بعده الضحكات وتحولت الى عويل وظل
الكون هو هو لم يتغير برغم أن زوجها قد مات .

* * *

تطلعت وضحي الى السماء تستنجد بها وجالت
ببصرها ذات اليمين وذات الشمال ثم ركزت نظراتها
بين الاشجار حيث لمحت شبحا يتحرك .

ارتبكت وارتعشت اطرافها قبل ان تدرك ان الشبح
ليس الا بقرتها المسكينة تعبر عن آلامها بنواح بدأ هزيلا
ضعيفا كأنه يصدر من مكان بعيد فلم تعد لديها قدرة!!

واستلهمت المسكينة من نواح البقرة حلا لمشكلتها
وقضاء على المجاعة التي تهدد ذلك البيت منذ رحيل
ربه ولو الى حين .

● صحوة الضمير ●

لم تكن التجربة قد حنكت ناصر المسكين ، الذي انتظر في مكانه كالسمار لا يبرحه رغم حرارة الشمس . . حتى صدر الناس ووجد نفسه وحيدا آخر الامر .

فنصحه مشفق عرف خبره وارشده للشرطة التي جمعت القضاة فعرف الصغير غريمه الذي ازبد وارعد واقسم بأغلظ الايمان لم يأخذ بقرة ولا دجاجة ولم ير وجه هذا الطفل ولم ينزل الى السوق .

ومر صمت وتحول الجاني الى مرشد . .

– الحرام يهد البيوت . . . وقف الصغير

وقف الصغير مذهولا لا يبديء ولا يعيد وترك الملازم القضاة وطرده الصبي الذي راف به أحدهم فنفضه ريبلا . .

خرج الصغير خلفهم لا يعلم اي طريق يسلك فقاده قدماء بقدره عجيبة لو سألته عنها لما وجد تفسيرا الى المجزرة في طرف القرية . . وسرعان ما عرف بقايا بقرة .

انتشل قرننها وذيلها من بين اكوام الفرث . وسقطت دموعه تترى . وآوى الى ظل شجرة عرعر صغيرة .

كان يندب حظه وهو يعلم ان مستقبله الغامض ينذر بحساب عسير . . ورغم ذلك نهض متوجها الى بيت خاو ينتظره لينقذه .

لمح قبيل الغروب شبح امه واخوته على سطح الدار .

* * *

كانت امه تتأمل طلعتة الهزيلة وهي تقرا المعوذتين وآية الكرسي وتناجي ربها وتسأله حماية البطل العائد .

وكم كانت فرحتها عندما راته عائدا لوحدته .

اذن لقد باع البقرة وعاد يحمل النقود .

وبدأت العجوز تخطط للايام .

تريد ان تشتري بقرة حلوبا رخيصة وتتمتع واطفالها بالباقي حتى يفرجها الله .

خرجت الام وخلفها اربعة من الصغار للقاء القادم وكأنه بطل عاد لتوه من معركة ظافرة .

ولم تنتظر كلامه بل انهالت عليه تقبله وتمسح عنه التراب واخوته كل واحد يصرخ من جهة .

لم تنفع الديك خدمة الطويلة ولا قناعته فقد كان يؤذن لهم كل فجر كأنه ساعة مضمونة . . يؤذن مجانا فهو يكتفي بما يلتقطه من حبوب الجيران . .

قالت وهي تعجن لأكبر الابناء – ناصر – في العاشرة او نحوها ان يفيق وليست في حاجة لتكرار النداء ، فهو مضيق من قبل النداء . . وقام بنشاط غير متكافئ مع جسمه الهزيل وما هي الا لحظات حتى نفذ الاعدام بديك احمر يحملون عنه أجمل الذكريات .

وكان اثره سحرىا عجيبا فقد اعاد للوجنات الذابلة حمرة وللصوات المبجوحة قوة وعاد الايتام البائسون كالاخرين يفنون للقمر والسحب ويرقصون في حماس .

وعادت الحياة الصاخبة الى مكان كان مقفرا او شبه مقفر منها واطمأنت الارملة حينما بيد انها ادركت ان الدقيق شيء خيالي وان الديك عقيم لم يخلف ديكا آخر ليقتاتوا به ليلة ثانية .

التفتت الام الى ناصر ورات فيه ملامح المرحوم وتوسمت فيه المقدرة على تنفيذ ماكسفا فيه ولي امر الايتام (مسمار) وهو بيع البقرة .

جلست من ابنها مجلس المعلم لتمرنه على عمليات البيع وتعلمه ، ثم طلبت منه النوم المبكر فالمهمة شاقة يوم غد لان عليه ان يسير في صباح اليوم التالي بضعة اميال للوصول الى رغدان حاضرة القرى وفيها يقام السوق .

ومع بزوغ فجر يوم الاحد – يوم السوق الاسبوعي – تسلل المسكين يمسك بيده الصغيرة رباطا في طرفه الآخر بقرة مستسلمة تنشد هي الاخرى الخلاص ، فقد سئمت هي الاخرى حياة الكفاف . . ووصلت مع قائدها الى مكان به حشد كبير من البقر خصصه لها منذ نشأ هذا السوق . . ووقفت بهدوء تجتر او تتظاهر وبجوارها طفل تحنقره العين .

* * *

– بكم تبيع البقرة ايها الصغير

– بخمسائة ريال

– حسنا ساخذ البقرة . . وعليك ان تقف هنا

يا ولدي حتى آتيك بالنقود . .

* * *

– انا ناصر الراعي اسمي مدون في سجلات الشرطة
ان بقي منها باق .

قال العجوز ..

– البحث عن موضوع كهذا في سجلات تقادم عهدها
معجزة ، اما من دليل آخر ؟!

– اما ترى هذا الشج .. انه اثر من آثار الوالدة
تفمدها الله برحمته .

ولما كان العجوز القصاب من كبار المحتالين فهو
لا يسلم بمثل هذه الاقاويل ولو ان لهجة محدثه واضحة .

وواصل ناصر ..

– ودليل آخر ملفوف في هذا القرطاس .. قرن
بقرتي وذيلها نسيتهما في منزل قديم حتى وجدتهما
صدفة اول امس .. وما زال رغم السنين .

صرخ القصاب بصوته كله منتحبا ..

– يكفي .. هذا يكفي .. كم كنت ظالما

من هذه النافذة كنت المحك .

رايتك تأخذهما من بيت الفرث

رايتك تبكي وانا اقهقه بضحكات من الشيطان
واشمت .. ثم آويت

فاكمل ناصر – الى ظل عرعره صغيرة

صرخ العجوز – التوبة يارب .. رحمتك يارب

ثم اخذ الشاب وتوجها الى المحكمة

– سيدي القاضي .. اعترف بجرمي

وارجو ان تكتب عقاري كله لهذا الشاب .

ثم يطلب من ناصر ان يعطيه ذيل البقرة وقرنها .

* * *

لقد كفر المسكين بحصيلة العمر من اجل غلطة
واحدة وعاد يحمل أغلى من محصلة العمر بل من
كل الماديات ..

ضميرا نقياً طهره

وقرن بقرة وذيلها ..

● السعودية – محمد علي القرامي

– ماذا اشتريت لي يا ناصر ؟!

وسقط مغشياً عليه سقوطه انقذه من الاجابة على
الاسئلة ولو الى حين ، وان لم يؤجل عنه العقاب
او يثير الشفقة في قلب الام فقد كانت تفتش في ثوبه
الخلق عن النقود .. فلم تجد غير ريال واحد ..

هربت عواطفها وتحولت الى لبوة شرسة ولم ترحم
حالته فقد انهالت عليه ركلاً ورفسا وهي تصرخ ..

– اين النقود يا فاسد ؟!

وهرع اليه القرويون في دهشة ونقلوه من بين يديها
شبه جثة وهذا ما دعى اهل القرية الى اجتماع عاجل
في بيت العريف ليرشوا على الصغير اكواز الماء فأفاق
بعد حين .

عرفوا منه القصة وقرروا منح الايتام مساعدات
عاجلة ومؤجلة .

* * *

دار الفلك وتغيرت الاحوال وسبحان من لا يتغير .

فقد ذهب شيخ الفاقة او كاد عن ناصر واخوته
وظهر رغم نحافته خلقا آخر نظيفا محبوبا فقد أصبح
مدرسا لا يعرف الا بلقب الاستاذ بل مديرا لمدرسة
محدثة في قريته .

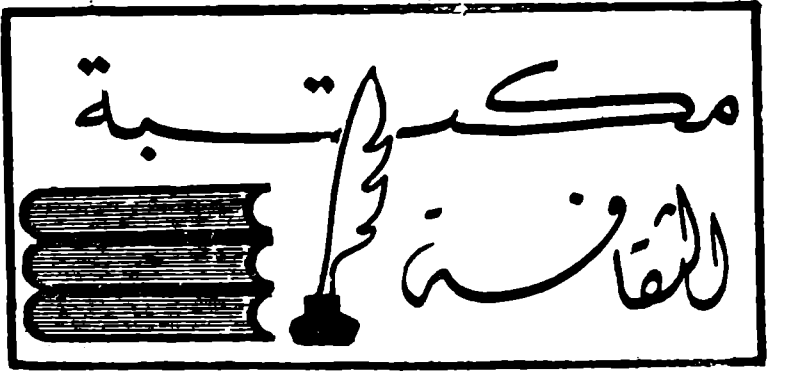
وكان سعادته مخلوقة على حساب القصاب الذي
ظلمه منذ عقد ونصف فقد تحول شعره كله حتى
حواجبه الى لون ابيض كأنه القطن وظهرت ملامحه
السوداء في اطار ابيض كأنه القطن .

كما ان الدهر قد انقلب فنهب جميع أسرته في حادث
مروع ولم يبق له غير العقار الذي يضرب
بضخامته المثل .

وفي غمرة الاحداث وزحمتها وفي لحظات اليأس
والرجاء افاق وصحا ضمير القصاب العجوز وتمثلت
امامه صورة الطفل حتى ملأت عليه تفكيره ، فالمجرم
لا ينسى ضحاياه بسهولة .

ولم يهنا ب حياة ولانوم حتى كتب اعلانا علقه في
السوق – طفل مجهول – سلبت بقرته منذ خمس
عشرة سنة لم اعطه حقها لمن يعرف عنه جائزة .

وكان الذي جاء ناصر نفسه اسرع مما تصور
العجوز .



« الفيلسوف »

لمحمد حسن فقي

حديث عن السعادة والجمال

في سلسلة المكتبة الصغيرة اخرجت المطابع حديثا كتاب « الفيلسوف » الاديب محمد حسن فقي . والكتاب الذي يقع في نحو ٨١ صفحة من القطع الصغيرة عبارة عن مقالات نشرها الكاتب تحت العنوان ذاته منذ عشرين عاما في صحفنا المحلية ، ولو ان تلك المقالات قد تقادم العهد على زمن تحريرها فانها تناقش امورا باقية القيمة سيظل الانسان يناقشها ويبحثها ويمحصها ويعيد ذلك كله دون ملل . . . وهل هناك اجدر من موضوعات مثل الخير والجمال ان تناقش باستمرار وفي كل لغات الارض المكتوبة ؟ . . فمنذ عرف الانسان التدوين وحتى اليوم لاتزال الصفحات تسود بمناقشات تتصل بهذه الموضوعات وفي كل بقاع الارض وبجمل لغاتها المكتوبة .

والكتاب الذي يفتح بانقطاع الشيخ عن مرديه لفترة يدور بصورة حوار بين المردين وشيخهم الجليل ليبرهم بما يفض عليهم من شؤون الحياة ويتحدث اليهم عن موضوعات ظلت تجتذب اهتمام البشرية منذ عرفت الكتابة . . يعود الشيخ الذي « هو بحر لاحدود له ولا قرار او اقل عنه محيط تتقاهر عن ادراك حدوده واغواره النفس والابصار ، لم تكن له مؤلفات ولكن محاوراته لو انها سجلت ثم جمعت ثم طبعت في اسفار لكان منها العشرات التي تمتع وتفيد » .

لاشك في ان المدينة الفاضلة « اليوثوبيا » اجتذبت الفكر العربي في عصور ازدهار الحضارة العربية ومنذ تراجع اعمال الفلاسفة الاغريق وغيرهم وحاول ذلك الفكر الوصول الى تحديد ماهيات الحق والخير والجمال اضاف الفلاسفة العرب الذين قد يعجز عنهم الحصر اضافات اساسية للفكر الانساني في هذا الاتجاه . . جاء خاطر « اليوثوبيا » عندما شرعت اقرا في مستهل الكتاب حديث الشيخ عن الخير فهو ان تعرض نفسك على انتهاج اقوم السبل وان تكون اوعرها واكثرها - هبة ومشقة . . انك بذلك - ان استطعته - وهذا ليس

بالقليل تحسن الى نفسك او في احسان كما تحسن الى الحياة والاحياء بنفس هذا المقدار الطيب انك به ستقبل الاذى والاساءة والعقوق وكل ما يتحدى ويجرح » .
ثم يتحدث الشيخ عن الباطل فيعرفه على اعتبار انه « ما استنكرته الشرائع السماوية وابته التقاليد الكريمة ورفضته الضمائر القويمة فهو الحق والحق على طرفي نقيض » .

اقول ما احوج الناشئة في المجتمع الى تدارس مثل هذا الكتاب الذي يتكلف في اصال المفيد الممتع الى قارئه بمحاورات يكسر حدة التلقي فيها تبدل الحوار وتباينه وتنوع موضوعاته ، واني لفي اكد يقين بان اختيار مقتطفات من هذا الكتاب لتدريسها للناشئة ستعود عليهم بالخير العميم لما فيها من اسلوب بسيط واضح جميل قد يعينهم في المستقبل عند تطور معرفتهم بألوان من الانشاء والكتابة الادبية ذات العبارة السلسة والجمال الذي يبعد عن التقعر والتكلف ويرتفع عن الابتذال والفثاثة . . .

ويستطرد الشيخ متحدثا عن العقل والحس والجمال فيقول عن الاول : « فهو هذا النبراس الذي ميز الله به البشر على من سواهم من مخلوقاته وهو شيء معجز محير احنار العلماء والفلاسفة في وصفه كما اختلفوا في تفره من هذا الهيكل وان يكن اكثرهم يميل الى انه يثوي تلافيف المخ » .

ويمضي الشيخ فيحدث مرديه عن العلم والفلسفة وكيف ان العلم لا يعرف الا الواقع المائل والفلسفة كيف انها تفكير دائب وتأمل مستمر يتمخض عن نظريات وآراء . ثم يعرض للسعادة وللفن وللجمال فيعرف السعادة بانها « الشعور بنشوة من عمل عملناه او قول قلناه فكان له اثر طيب فيما حولنا ومن حولنا » .

وعن الفن يقول : « هو زبدة ما في حياتنا من خير وجمال ومن رقة ووداعة ومن سمو وترفع » وعن الجمال « انه اية من آيات الله الكبرى الذي نسبح له ونقدس له حينما يجتذبنا اجتذابا » ثم يستطرد في تحديد مقاييسه وموازينه بين الناس ثم يتحدث عن الجمال في مجال الطبيعة . .

ويرد الشيخ على سؤال عن الشعور بالمسؤولية فيقول : « انها قمة من قمم الخلق الانساني » . . . ويرد على سؤال آخر حول الفني والفقر واثرهما في النفس البشرية ثم يعرض للفنى الشاكر والفقير الصابر ويختتم الشيخ حديثه لمريديه حول الدين والعلم .

محمد طه جونيير

رسائل للصدقا

الى الشاعرة هند هارون - ام عمار

اختي الكبيرة ام عمار

بكل الظمأ المجتاح ثنايا القلب . وبكل الشوق المزروع في ومضات العين . تلقيت « ديوان عمار » سمفونية الام الثكلى . تباريح القلب الموجه . انسياب الروح المتسامية فوق المادة حروفا على صفحات الورق البيضاء . وللروح حديث اسطوري السمات ملائكي النزعه . والالهام .

« ديوان عمار » وانا شيد تكتبها حبات الجمان الناصعة البياض تنهمر جداولاً من محبة ووفاء وحنان من معين عين الامومة . وبالله ما ارووع جمان عن الامومة .

« ديوان عمار » وترتيل صلاة الانسانية المعذبة على صليب نواميس الاقدار وهي ترسل احكامها التي لا مشيئة لنا في تقبلها ولا قدرة لدينا لتفسير كنهها او كنه الارادة العظيمه الجبارة التي تطلقها .

بحار من الشعر والشعر ليس الا البحر بنسيمه العليل . برقراق موجاته الحاله . وبهدير امواجه العاتية . بصفحته الزرقاء التي تطلق المدى آمالاً وتفاؤلاً وسعادة . وباعماقه الداكنة التي ترسل اليأس والاسى والحرمان . وبين الصفحة الزرقاء والاعماق الداكنة تتالى حياة الانسان منذ الازل وحتى الابد .

اذن فالشعر هو الحياة . و « ديوان عمار » هو الحياة في مهرجان الموت الرهيب .

لقد قرأت الديوان . او لاقل ابجرت مع الديوان في رحلة بحرية كان الحرف شرعها والصورة موجات بحرها . وبين الحرف والصورة تذهب الروح سكرى في خمرة الرهافة والاصالة وصدق الاحساس .

ففي اناشيد الديوان رأيت « عمار » يجلس بين الصفحات . يبتسم ، يتكلم ، يكتب ، يرسم ، يلعب وقبل كل شيء يعانق امه ويشرب على اكتاف ابيه .

كلمات عمار المكتوبة صارت منابع الهام . صور عمار المرسومة لوحات تحكي قصة عمار وكل عمار في هذه الحياة . اشياء عمار ، سريره ، مفكرته ، دراجته ، تمرده ، وعنفوان الشباب لديه . كل ذلك اصبحت

شيئا من طيف ! اقول بقايا من نكهة انسان يستعبد الشعر في محرابه .

هذا المعين العظيم من امتزاج الانسان في الانسان جامع « فوق منطق العقل المتجمد في قوانين المادة المتحجرة اليابسة الجافة ، ثائر على كل ما ابتدعه من نواظم الحياة الاجتماعية الاقتصادية هادم لكل انانيات وجشع وزيف الروابط المعتوهه المجنونة والتي تقوم على اكتاف شيطان المصلحة الشخصية .

هذا البركان المتفجر من اعماق الامومة باحلى الوانها زنجية بيضاء . قوس قزح اسود التفاصيل . قرنفل صفراء . نرجسه زرقاء اضمومة من تواسيح الليل المبهروهي ترسل تراويل فجر هو الحقيقة بذاتها .

لقد جسدت في عمار كل طفل في العالم . فلقد تجسد عمار في اطفال افريقيا الذين يموتون تحت سياط الجوع . واطفال فلسطين الذين يسقطون تحت لسع لهيب القنابل المدمرة . واطفال (هيروشيما) و (ناغازاكي) و (ليننغراد) وبور سعيد و « بيروت » . كل هؤلاء تجسدوا امام عيني وانا اقرأ « ديوان عمار » ليس عمار حالة خاصة وليس عمار معنى ضيقا تسيء خصوصيته له . وليست ام عمار هي « هند هارون » فحسب انها الام بكل القدسية المطلقة التي تحملها كلمة ام . بكل الفيرية التي تعنيها وتمارسها وتحياها كل من حملت شرف هذا اللقب الذي هو اعظم وارفع من كل الاقارب ، لقب « ام » في ديوانك يا ام عمار . رأيت امي الفلاحة البسيطة وهي تبكي اختي الصبية السمراء بنت العشرين عام . رأيت جدتي العجوز وهي تندب عمي . ابناها ، الذي ما تخطى العقد الثالث من عمره . رأيت نساء كثيرات . . . كثيرات . . . وابناء كثيرين . . . كثيرين . . . فديوانك هذا هو بحق . ديوان الاموم الجريحة اينما وكيفما كانت . .

في نهاية هذه الخواطر . . . والتي كتبتها نبضاً من شرياني الابهر وهو يحمل قطرات الدم الدماغى الذي تأثر بما قرأ وليدي التي راحت تكتب ما املتها عليه آيات الديوان الرائعه . أجد نفسي مجبراً على النهاية شاكرًا لك اهداءك الرقيق . وهديتك النفسه . أما ان يمد الله في عمرك . كي تتحفي حياتنا بأكثر من ديوان ليس عن الجراح والحزن فحسب بل ايضا عن الفر والسعادة . وتقبلي تحياتي واماني الطيبة والسلام

اللاذقية - الدكتور عنان شعب

والعمل المشكور لاتحاد الكتاب العرب بسورية بنشر مجموعات قصصية وشعرية منها « دائرة الكسوف » لمصطفى يعلى و « عيون تحت الليل » لمبارك الدريبي ، وكتب لكل من محمد اديب السلاوي ومحمد الطوبي ... اذا أضفنا هذه الجهود الكبيرة التي ما قلناه سابقا، فيتجلى لنا ان ازمة النشر غير موجودة بتاتا في المغرب ، ونسيت ان اشير الى « نادي القلم » بالدار البيضاء الذي نشر لشاعروا واحد خمسة ذواوين ، فما بالكم بالادباء الاخرين؟ . ان تفاؤلي مستمد من الواقع الزاخر بالعطاء الذي احياه ، وكل انسان ينطلق من خلفيات ، لا بد ان يخطيء في التصور ، اما الذي ينطلق من الصفر - تبعا لقواعد «ديكارت الأساسية» اي الذي لا يركز على نوايا مسبقة ، فستكون الحقيقة ، ولا شيء سواها ، مرماه .

ونقطة أخرى بدت لي وأنا اتمعن الفقرة التي تتعلق بجريدة « العلم » ، فالذي لا يجهله احد من مؤرخي الحركة الادبية ان زفزاف والخوري والسولامي والاشعري والطريق حسن ... وغيرهم كثير لا يحصى ، يرجع الفضل في تكوينهم واثراء تجربتهم الادبية الى جريدة العلم واسرتها التي ما فتئت حتى الان تسد فراغا فسيحا في الساحة الثقافية ، ويمكنكم الاطلاع على العدد الخاص بالادب المغربي من مجلة « الاداب » اللبنانية لتأكدوا من صحة قولتي .

فلا ينبغي - والحالة هذه - ان ننكر جهود هذه الجريدة وما حققت من مكاسب ادبية طوال نصف قرن تقريبا . كما لا ينبغي ان ننسى دور الادباء الاوائل في ارساء قواعد القصة المغربية والشعر المغربي ، اذ بفضلهم وتشجيعهم للناشئة ، استطاع الادب المغربي ان يصمد امام مختلف التيارات والاحباطات .

والمسألة العامة هي ان الادب المغربي لا يمثله محمد زفزاف فقط ، بل كل الادباء الموجودين على الساحة المغربية ، والذي دفعني الى هذه الملاحظة هو ان الاغلبية من اخواننا في المشرق العربي ، يتناولون الادب المغربي من خلال زفزاف ، بينما - والحمد لله - يتوفر المغرب على مئات الشعراء والقصاصين والروائيين الذين يدعون باستمرار ، واثبتوا حضورهم الادبي ، فعلى مستوى الرواية هناك : الحمداني حميد ، ومبارك ربيع ، وابراهيم بوعلو ، وعبد الكريم غلاب ، ومحمد الاحساني ... وعلى مستوى القصة هناك : الميلودي شغوم ، وعبد القادر السحيمي ومحمد قنديل ، ومصطفى اجماهري ، ومحمد صوف ، واحمد بطا ، وبوشته حاضي ، واحمد المدني ، وعبد الكريم التسماني ، ومحمد المصباحي ، ومبارك الدريبي ، وادريس الصغير ، وعبد الرحيم مودن ، ومصطفى يعلى ... وعلى مستوى الشعر هناك : حسن الطريق ، ومحمد الاشعري ، ومحمد الحبيب الفرقاني ، ومحمد الحلوي ، وعبد الكريم بن ثابت ، ورشيد المومني ، واحمد المجاطي ، ومصطفى المعداوي ، وعبد العلي الودغري ... وعلى المستوى النقدي هناك : محمد براده ، وعبد الله كنون ، ونجيب العوفي ، وابراهيم الخطيب ، وادريس الناقوري ... واسماء أخرى لا تحضرني الان ، لانني ارتجل هذه الكلمة على صفحات رسالتي هذه ، وعلى كل فليموضوع بقية ...

القنيطرة - المغرب - العربي بنجلون

الاخ الاستاذ عيسى فتوح

تسلمت عدة أعداد من جريدة « تشرين » السورية الفراء ، ومهما حاولتم ان تقدروا فرحي بمقالكم القيم « من اجل نافذة لمحمد زفزاف » المنشور في الصفحة السابعة من العدد ١٦٩٠ تاريخ ١١/٢٥/١٩٨٠ ، فلن تستطيعوا ، ذلك انني احسست بصدق الادب العربي في المغرب الحبيب يتردد في أرجاء سورية الشقيقة ، اذ ذاك حمدت الله على ان الرسائل المتبادلة بيننا ، قد نسفت البعد الجغرافي والعوامل الاخرى التي تحول دون تفاعلنا . الا انني - واثناء اطلاعي على الاعداد الالفة الذكر - ارتأيت ان اصحح بعض الاراء التي لا تتحملون ادنى مسؤولية في طرحها ، لانها شائعة هنا وهناك ، ولم تجد حتى الان من ينهض لتقويمها ، واوكد مرة أخرى ان هذه الاراء الخاطئة في نظري ولدى الكثيرين ، لا تعود في الاساس الى مضمون مقالكم ، بل الى الفقرات المستمدة من الاستجواب الذي اجراه ادريس الخوري مع محمد زفزاف ، وليس الهدف من تصحيحه هذا الا وضع النقاط على الحروف ، وارجاع الامور الى نصابها ، كما يقال في مثل هذه الحال .

اجل ! انني متفائل جدا - حسب رأيكم - وبالفعل ، فاني متفائل الى ابعد الحدود . لماذا ؟ ان اهتمامي الكبير والمتواضع في ان بالادب المغربي والثقافة المغربية بصفة عامة ، وما يتعلق بهذا الحقل الواسع من نشر وتوزيع ... هو الذي حفزني الى هذا التفاؤل . فنحن لانعاني ازمة نشر ، بل العكس هو الصحيح ، والادلة على ذلك كثيرة جدا وهي كما يلي :

اولا : ان أغلبية النقاد والشعراء والروائيين والقصاصين اساتذة ، اما في جامعات ، او في كليات ، او في معاهد عليا ، او في ثانويات ، ما علاقة هذا بالنشر؟ . العلاقة حميمة ، فالاجور المرتفعة بطبيعة الحال قادرة على ان تسد تكاليف الطبع والنشر والتوزيع ، ولهذا نرى الكثيرين من ادبائنا يصدرن كتابين او ثلاثة خلال السنة الواحدة .

ثانيا : هناك دور نشر بالمجان ، لكنها تشترط الجودة شكلا ومضمونا ، واذكر على سبيل المثال « دار النشر المغربية » التي اصدرت لادريس الخوري نفسه طبعتين من مجموعته القصصية « ظلال » ، والحقيقة التي لا مرأى فيها ان ادريس الخوري هذا ، قاص مغربي ذو شهرة واسعة النطاق ، نظرا لقيمة قصصه الفنية ورصده لحالات اجتماعية دقيقة ، وهناك مجموعة شعرية للشاعر الكبير محمد الفرقاني ... وهناك عدد كبير لا يحصى من المجموعات الشعرية والقصصية الصادرة عن هذه الدار . ثم « دار الثقافة » التي نشرت نتاجات ابداعية عديدة ، ككتاب « الشعر الوطني في عهد الحماية » للدكتور ابراهيم السولامي ، وكتاب آخر له بعنوان « تأملات في الادب المعاصر » . و « دار الرشاد الحديثة » التي لم تكتف بنشر ابداعات مغربية ، بل تجاوزتها الى اخرى مشرقية كديوان « الفارس والعتمة » للشاعر السوري محمد حمدان ... ومطبعة « الرسالة » التي يرجع لها الفضل في ابراز نتاجات الاحياء والاموات على السواء .

واذا أضفنا الى هذه الدور الجهد الذي بذله اتحاد الكتاب في المغرب في مجال النشر ، كديوان محمد الاشعري « سهيل الخيل الجريحة » ورواية « أبراج المدينة »

الفهرس

المجلة بين التراث . . والمعاصرة

رئيس التحرير

● الموضوعات :

محمد قنديل البقلي
احمد زياد محبك
محمد حمد الصيونع
خليل كمال الدين

١٤ - التدوين . . والمكتبة العربية
١٧ - الرؤية الجمالية عند أبي حيان التوحيدي
٢٠ - سوق عطاظ في التاريخ والادب
٤٣ - محمد مندور من اعلام النقد

● الدراسات :

محمد بن سعد بن حسين
د. محمد جبر
نعمان حرب
زياد كامل
حسني سيد لبيب
محمد مرتاض

٢ - الشعر الحديث في الحجاز
٨ - العلاقة الجدلية بين الوعي والابداع ومدحة عكاش
٢٣ - الشاعر نبيه سلامة
٣٩ - رسالة رفاعة الطهطاوي الى حركة الصحافة العربية
٤٦ - قراءة في قصص نادر السباعي
٤٩ - ديوان الولادة الجديدة والصحو لاحمد دوغان

● الشعر :

محمد حسن فقي
صقر حمدان عيشي
وفاء علي
هند هارون
محمد جلال قواس
محمد سليم عزوز

٣٠ - بين الروض والقفر
٣٣ - شعر
٣٤ - الى صاحب باليل
٣٥ - الطفلة الفيور
٣٧ - الظل المتواري
٣٨ - حسرة عاشق

● القصة :

محمد علي القرامي

٥٨ - صحوة ضمير

● مكتبة الثقافة :

محمد طه جونير

٦١ - الفيلسوف (لمحمد حسن فقي)

● رسائل الاصدقاء :

د. عنان شعبو
العربي بنجلون

٦٢ - الى الشاعرة هند هارون - ام عمار
٦٣ - الى الامتاذ عيسى فتوح